الفصل الثالث

الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام

يشتمل هذا الفصل على :

* **مقدمة .**

أولا : الأصول النفسية للتربية المهنية فى الإسلام :

١ ـ دافعية الفرد للعمل بمهنة أو حرفة.

٢ ـ العلم بأصول المهنة أو الحرفة.

٣ ـ القدرة على القيام بمتطلبات المهنة .

٤ ـ مراعاة الفروق الفردية .

ثانياً : الأصول الاجتماعية للتربية المهنية فى الإسلام :

١ ـ النظرة الإسلامية للعمران .

٢ ـ النظرة الإسلامية للإنسان .

٣ ـ الإتقان .

٤ ـ الأخلاقية .

٥ ـ جزاء المهنة .

obeikandl.com

obeikandl.com

الأصول النظرية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام

مقدمة :

أتى الإسلام بأفكار وتصورات محددة لكل من الفرد والمجتمع فى كافة المجالات عامة وفى مجال التربية خاصة متميزة عن الأيديولوجيات السابقة عليها والتى كانت سائدة قبله، وانعكست هذه الفلسفة الجديدة على التربية ـ ومنها التربية المهنية والحرفية ـ وبدون فهم هذه الفلسفة الإسلامية ، لا يمكن فهم التربية الإسلامية ، ولا يمكن فهم الأيديولوجيا الإسلامية دون الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ولعله من الحقائق الثابتة أن فلسفة أى مجتمع تشكل محوراً أساسياً تقوم عليه حياة الناس بمختلف صورها وأشكالها .

إن التربية لا يمكن أن تبلغ أهدافها بإحداث تغييرات مرغوبة فى سلوك الفرد وسلوك الجماعة إلا إذا كانت ترتكز على أسس وأصول علمية واضحة ، ترسم لها مسارها ، وتوجه الممارسات المبذولة من كل المشتغلين بالعمل التربوى وهى المنبثقة من الواقع .

إن « التربية الإسلامية تتضمن مجموعة من المفاهيم التى يرتبط بعضها فى إطار فكرى واحد يستند إلى الأصول والمبادئ التى أتى بها الإسلام ، والتى ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية ، تهدى إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام » (١) .

وقد احتوت آيات القرآن الكريم عدداً من الأصول والأسس تتصل بعدد من المهن والحرف ، مثل : الصناعة ، والتعدين ، والتجارة ، والمال والاقتصاد . . . وغيرها ، سيتناولها الباحث بالتفصيل فى الفصل الحالى ، كما احتوى على أصول وأحكام فى المعاملات والعلاقات بين الناس بما يسهم فى تقوية بناء المجتمع ، وتوضيح صورة شخصية المسلم الكامل خلقاً وأدباً وعلماً وتعاملاً ، وفيما يجب عليه أن يحتذيه من المثل العليا أو ما يتحلى به من مكارم الأخلاق (٢) .

لذا كان طبيعياً عند البحث فى التربية المهنية فى الإسلام أن نتناول الأصول النظرية للتربية المهنية فى الإسلام ، أو الفلسفة التى تكمن وراء المهن والحرف التى

---

(١) سعيد إسماعيل على :الأصول الإسلامية للتربية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

حض عليها الإسلام .

ومن تلك الأصول ما يرتبط بالفرد مثل : دافعية الفرد للعمل بحرفة أو مهنة وتعليمه أصول المهنة ، وقدرته على القيام بمتطلباتها ، ومراعاة الفروق الفردية ، ومنها ماهو عام مثل : النظرة الإسلامية لكل من : العمران ، والإنسان ، والإتقان ، والأخلاقية ، وجزاء المهنة ، وتلك هى الأصول التى تكمن وراء المهن والحرف ، والتى أشار إليها الإسلام ، وسنتناولها واحدة بعد الأخرى ، كما وردت فى كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

obeikandl.com

أولاً : الأصول النفسية للتربية المهنية فى الإسلام

١ـ دافعية الفرد للعمل بحرفة أو مهنة :

تتمثل مشكلة الدافعية للعمل بحرفة أو مهنة فى أن الإنسان يميل إلى أن يعمل بقدر أقل من قدراته وإمكاناته ، ونجد أن انتاجه لا يتكافأ مع ما لديه من قدرات ومواهب، وهذا يبعث على التساؤل عن أفضل الطرق التى تساعد الإنسان بصفة عامة ، والعاملين بالحرف والمهن بصفة خاصة ، على الارتفاع بمستوى إنتاجهم بما يتناسب وطاقتهم ، وهكذا تمثل الدافعية مكانة مهمة فى سيكولوجية المهن .

« والدوافع هى القوى المحركة التى تبعث النشاط فى الكائن الحى ، وتحرك السلوك وتوجهه نحو هدف معين وهى تؤدى وظائف ضرورية فى حياة الكائن الحى ، فهى التى تحفزه للقيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال المهمة والمقيدة له فى توافقه مع بيئته » (١) .

وإذا كانت « إرادة العمل شيئاً فطرياً فى نفسية الإنسان بحكم حاجته إلى ما يشبع رغباته ، إلا أن الإسلام أتى إلى هذه الإرادة فشحذها وعبأها ودفعها لتحقيق أعظم ماعندها ، وذلك حينما غرس فى نفس المسلم أن الكسب الطيب جزء لا يتجزأ من إيمانه ، وأن عليه أن يسعى ويكد فى سبيل ذلك ، وعلى قدر عمله واتساع دائرة نشاطه يكون نفعه وجزاؤه » (٢) ، قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧) ﴾ [النحل] .

إن « الدين يمثل أحد المتغيرات الثقافية الأساسية التى تسهم فى تشكيل النواتج السلوكية المتنوعة والتى تمارس ضبطا، يتباين فى شدته ، على المشاعر والأفكار والأفعال الصادرة عن الأفراد ، على المستوى الصريح أحياناً والضمنى أحياناً أخرى ، فهو يمنح الإنسان توجهاً حيال الأشياء فى بيئته مما يدفع الإنسان إلى العمل والإنجاز » (٣) .

إن العمل فى الإسلام يستثير المؤمن من أعماق ضميره ؛ لأن المؤمن بالدين عامة وبعقيدة الإسلام خاصة ، يعتمد على أداء عمله وواجباته « على الناحية الخلقية ، وعلى مراقبة الضمير وخشية الله ، أكثر مما يعتمد على الالتزام والسيطرة ، التى توفرها

---

(١) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

(٢) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٣) حسن على حسن : « الدين ودافعية الإنجاز ، دراسة نفسية مقارنة لمستوى دافعية الإنجاز » ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة الرابعة عشرة ،العدد الخامس والخمسون ، رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤١٠هـ، ص ٤٩ .

القوانين الوضعية ؛ لأن سلطان الخلق والضمير أقوى من سلطان القانون ، فرقابة الضمير حارس لا يغفل ، وسلطان القانون حارس كثير الغفلة والنسيان » (١) .

فالدافع إلى العمل فى الإسلام ينبع من النفس ، ثم ما يلبث أن يصبح عادة وخلقاً فى طبيعة المسلم .

وسوف نتحدث عن بعض الدوافع للعمل كما وردت فى القرآن والسنة لدفع المسلم نحو العمل والاجتهاد والابتكار .

والدوافع كما ذكرت ، دوافع فسيولوجية ، وتنقسم إلى دافعين : (حفظ الذات ـ بقاء النوع) ، ودوافع (نفسية ـ اجتماعية) ، وتنقسم إلى ثلاثة دوافع : (التملك ـ التنافس ـ الإنجاز) .

أولاً : الدوافع الفسيولوجية :

لقد اقتضت حكمة الله منح نعمة الوجود للمخلوقات ، وأن يودع فى مخلوقاته خصائصها التى تؤهلها لأداء الوظائف التى اختصها الله بها ، ومن بين الخصائص المهمة التى أودعها الله ـ تعالى ـ فى طبيعة تكوين الإنسان والحيوان الدوافع الفسيولوجية ، وتقوم الدوافع الفسيولوجية بتلبية حاجات البدن ومقاومة ما يعتريه من خلل أو اضطراب أو فقدان الاتزان ، وهى تعمل دائماً على أن يحتفظ الجسم بقدر معين من الاتزان الحيوى اللازم لحفظ ذاته وبقائه واستمراره فى أداء وظائفه .

وقد أوضحت الدراسات الفسيولوجية وجود ميل طبيعى فى جسم الإنسان إلى الاحتفاظ بدرجة ثابتة من الاتزان ، بحيث إذا اختل هذا الاتزان انبعث دافع للقيام بنشاط توافقى مستهدفاً إعادة الجسم إلى حالته السابقة من الاتزان ، وقد يتم هذا النشاط التوافقى على أساس فسيولوجى بحت لا إرادة للإنسان فيه ، كما يحدث مثلاً حينما يتصبب الجسم عرقاً فى درجة الحرارة العالية مما يؤدى إلى خفض حرارة البدن نتيجة لتبخر العرق ، وقد يتم هذا النشاط التوافقى بقيام الفرد بنشاط إرادى معين ، كأن يقوم مثلاً بتناول الغذاء فى حالة الجوع أو شرب الماء فى حالة الظمأ (٢) .

وفكرة الاتزان ، هذه التى كشف عنها العلماء والمحدثون ، قد كشف عنها القرآن الكريم منذ نزوله حيث يقول تعالى: ﴿ **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ** (١٩) ﴾[الحجر]، أى: « وأنبتنا فيها من كل شىء مقدر بقدر معلوم »(٣) .

ويؤكد ذلك فى موضع آخر فيقول تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** (٤٩) ﴾

---

(١) زيدان عبد الباقى : العمل والعمال فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ .

[القمر] ،وفى تفسير هذه الآية يقول ﷺ: « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » (١) ، أى أن قدرات الإنسان وضعت بقدر ، فشاء الله أن يعطى العجز لفرد والكياسة والفطانة لآخر ، ولكل منهما درجة معينة من الاتزان يحاول كل منهما أن يحافظ عليها .

إن كل كائن حى مخلوق بطريقة معينة وبدقة ومقدرة بحيث يكون على درجة من الاتزان ، فإذا اختل هذا الاتزان تنبعث الدوافع الفسيولوجية التى تدفع الإنسان إلى القيام بالنشاط اللازم لإعادة البدن إلى حالته السابقة عند الاتزان .

وقد أشار القرآن إلى هذه الدوافع الفسيولوجية المهمة والتى نلخصها فى الآتى :

أ ـ دوافع حفظ الذات :

لقد ذكر الله ـ تعالى ـ فى بعض آيات القرآن الكريم أهم الدوافع الفسيولوجية التى تقوم بحفظ الفرد وبقائه مثل الجوع ،والظمأ ، والتنفس، والتعب والألم. قال تعالى : **﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾** [طه] .

فخاطب الله آدم ـ وهو فى الجنة ـ « مذكراً إياه بما هو فيه من عيش رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة ،محذراً له من الوقوع فى شرك الشيطان الذى يريد أن يخرجه من الجنة إلى إحياء الأرض الذى سيشقى فيها لإشباع جوعه وإرواء عطشه وستر عراه » (٢)، أى لإشباع دوافعه الفسيولوجية .

وفى هذه الآيات إشارة إلى ثلاثة دوافع مهمة لحفظ الذات ، وهى : دوافع الجوع والعطش وتجنب الحرارة المفرطة ، كما تشير الآيات إلى دوافع حب البقاء **﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾** ودوافع التملك **﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾** وتعمل دوافع حفظ الذات فى خدمة دافع حب البقاء ، فهى بإشباعها حاجات الجسم الفسيولوجية ، إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته (٣) .

كما تشير بعض آيات القرآن الكريم إلى أهمية كل من : دافع الجوع ، وانفعال الخوف فى حياة الإنسان ؛ مما يدل على أثرهما الكبير فى حياة الإنسان ، قال تعالى : **﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٣) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المتجة ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة] .

« أى سنختبركم بالضراء بقليل من : الخوف والجوع وذهاب بعض الأموال »[١] ، وذلك يحدث اضطراباً وعدم اتزان ، يحاول بعده الإنسان أن يقوم بأعمال ، لكى يشبع هذه الدوافع ويحدث الاتزان للأجهزة البشرية لديه .

وقال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾** [النحل] ، «وهذا مثل أريد به أهل مكة ؛ فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يأتيها رزقها هنيئاً سهلاً ، فجحدت آلاء الله عليها ، فألبسها الله لباس الجوع وخوفها بعد أمنها » [٢] .

ولو لم يكن الإشباع والأمن شيئين ضروريين فى حياة الإنسان ما عاقب الله الناس بسلبهما .

إن الجوع والخوف إذا ما أصابا إنساناً ظهر عليه الاضطراب وعدم الاتزان ؛ ومن ثم كان عليه أن يقوم بعملٍ ما ليحدث الاتزان .

إن الأمن من الخوف والجوع نعمة من الله يمن بها على الإنسان فيقول تعالى : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾** [قريش] .

إن فى ذلك دليلاً على فضل الله تعالى ونعمته على الناس بأن « تفضل عليهم بالأمن والإطعام من الجوع » [٣] ، وهى من الدوافع الفسيولوجية .

إنه يستحيل على الإنسان ـ كجنس ـ أن يعيش بلا اشتغال بمهنة أو حرفة ؛ إذ هو محتاج إلى ما يقوته ويمونه منذ ولادته ، وغالباً ما يدفع الشخص للاشتغال بالحرف والمهن لمواجهة حاجاته الأساسية عن طريق الأجر الذى يحصل عليه ، ومن ثم يصبح الحصول على المأكل والمشرب والمسكن دافعاً وهدفاً فى آن واحد ، وتصبح الحرف والمهن وسيلة من وسائل حفظ الذات ؛ لأنها قوام الحياة للإنسان ومنها يستطيع أن يكتسب لأهله ونفسه .

ب ـ دوافع بقاء الذات :

شاءت حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوجد دافعان فسيولوجيان يدفعان إلى القيام بنوعين مهمين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع ، وهذان الدافعان هما : الدافع الجنسى ، ودافع الأمومة .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٨٩ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ .

فالدافع الجنسى يقوم بوظيفة مهمة هى التناسل لبقاء النوع ، فعن طريق هذا الدافع تتكون الأسر ، ومن هذه الأسر تتكون المجتمعات والشعوب ، فتعمر الأرض ، وتزدهر الحضارة ،« والدافع الجنسى أساس تكوين الأسرة التى يعرفها علم الاجتماع بأنها تتكون من : زوج وزوجة وظيفتهما إنجاب الأولاد وتربيتهم ؛ فالزوج يسكن إلى زوجة فيشعر بالراحة والطمأنينة ، وتنشأ بينهما عواطف المحبة والمودة والرحمة بما يؤدى إلى استمرار الحياة الزوجية من وفاق وتفاهم وتعاون ، مما يهيئ المناخ المناسب لإنجاب الأطفال وتنشئتهم ورعايتهم وتكوين شخصياتهم تكويناً سليماً » (١) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات] ، يقول تعالى « مخبراً الناس أنه خلقهم من آدم وحواء ، وجعلهم شعوباً وقبائل وفصائل وعشائر وغير ذلك » (٢) ، وما لم يكن هناك دافع الجنس ، ودافع الأمومة ما وجد لآدم وحواء ذرية كونت الشعوب الحاضرة ، ويقول تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل] .

وفى هذه الآية « يذكر الله ـ تعالى ـ نعمه على عبيده بأن جعل لهم من جنسهم وشكلهم أزواجاً ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة » (٣) ، وما كانت هناك الذرية التى تحافظ على بقاء النوع ، حقاً إنها نعمة للبشر ، كما أخبرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائلاً فى معرض حديثه عن النعم : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴿١﴾ ﴾ [النساء] .

وشاءت حكمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوجد أيضاً فى طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيئها للقيام برسالتها المهمة فى الإنجاب لحفظ النوع .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما تتحمله الأم من عناء الحمل والولادة ورعاية الطفل حتى يصبح قادراً على الاعتماد على نفسه ، فيقول تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ**

---

(١) سيد عبد الحميد موسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ [الاحقاف] ، « أى قاست بسببه فى حال حمله مشقة وتعباً من : وحَام ، وغشيان ، وثقل ، وكرب ، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ، ووضعته بمشقة أيضاً من الطلق وشدته » (١) .

ويتأكد هذا المعنى أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ [لقمان]، «أى جهد على جهد وقيل : ضعفاً على ضعف » (٢) .

إن من أهداف الاشتغال والسعى على الرزق هو أن يعف المرء نفسه بالزواج وتكوين أسرة ، وأن يكفى من تلزمه نفقته ؛ لأن الكسب مسئولية الرجل فى المقام الأول ، وهو لا يأتى إلا من العمل ، ومن ثم تصبح الحرف والمهن ضرورة من ضروريات الحياة والتى تساعد الفرد على إشباع الدافع الجنسى ، ومن ثم بقاء النوع .

ثانياً : الدوافع (النفسية ـ الاجتماعية) :

أ ـ دافع التملك :

« إن دافع التملك من الدوافع النفسية التى يتعلمها الإنسان أثناء تنشئته الاجتماعية، فهو يتعلم منذ طفولته أن يتملك ويحافظ على أدواته وألعابه ولا يسمح لغيره أن يأخذها منه ، وفى مراحل النمو المختلفة يتطور حب الفرد للتملك ، ويحاول تملك المال والعقارات التى تشبع حاجته إلى الأمن ، أى : تأمين مستقبله ، ونراه يفضل العمل الثابت المستقر الذى يؤمن مستقبله ، كما أن للمال أهميته فى إشباع حاجات الإنسان ، ويمكن ترتيب هذا الإشباع على النحو التالى :

ضروريات الحياة كالطعام والمسكن، وضروريات الصحة والتعليم وكماليات الحياة ، ومعظمها مكتسبة ، والحصول على المركز الاجتماعى والمكانة والنفوذ » (٣) .

وقد أشار القرآن الكريم فى كثير من المواضع إلى دافع التملك فقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ .

(٣) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

[آل عمران] ، وفى هذا خبر « عما زين للناس فى هذه الحياة من أنواع الملاذ من : النساء ، والبنين ، والأموال ، والخيل ، والحرث ، وإنما ذلك زهرة الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المرجع » (١) .

إنه إقرار من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن الناس يميلون إلى حب التملك من ملاذ الحياة ، وحبهم الجم ؛ لذلك قال تعالى : ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** (٢٠) ﴾ [الفجر] ، « أى : حباً كثيراً » (٢) ، وفى هذا أيضاً إشارة إلى دافع التملك الغريزى الذى يوجد فى طبع الإنسان .

فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق له دوافعه الفطرية ، ومن بين هذه الدوافع دافع التملك ، وهو الذى يدفع الإنسان إلى الاشتغال بالحرف والمهن المختلفة ؛ لأنها الوسيلة التى يستطيع الفرد من خلالها أن يتملك الأشياء ، بما توفره له من أموال تعينهم على تحقيق ذلك الدافع الفطرى .

ب ـ دافع التنافس :

« التنافس من الدوافع المكتسبة التى يتعلمها الإنسان من البيئة والثقافة التى ينشأ فيها ، وقد يتعلم الفرد خلال نشأته التنافس الاقتصادى ، أو التنافس العلمى والثقافى ، أو التنافس الاجتماعى،وغير ذلك من أنواع التنافس السائدة فى مختلف الثقافات» (٣) ، وقد حث القرآن الكريم على تنافس الناس فى تقوى الله والعمل الصالح،فقال تعالى : ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** (٢٣) **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** (٢٤) **يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ** (٢٥) **خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** (٢٦) ﴾ [المطففين] ، إنه لما حكى الله عن الأبرار فى الجنة قال فى نهاية حديثه : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ ، « أى : فليستبق إلى مثله المستبقون » (٤) .

إنها دعوة إلى التنافس من أجل الأعمال الصالحة فى أى مجال كان . ويقول تعالى فى موضع آخر : ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (١٤٨) ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** (٤٨) ﴾ [المائدة] .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٩ .
(٣) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٦ .

إنها دعوة إلى « المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها » [1] والتنافس عليها ، حتى يحظى المتنافس فى العمل الصالح بجنة عرضها كعرض السماء والأرض كما قال تعالى : ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد] .

جـ ـ دافع الإنجاز :

يتواجد دافع الإنجاز لدى كل شخص بدرجة معينة ، ولكن هناك بعض الناس نجدهم أكثر تهيؤاً باستمرار للإنجاز من غيرهم . ويحث القرآن الكريم على ذلك الدافع فى مواقف كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة]، إنه « خطاب للجميع ودعوة للعمل » [2] ، والإنجاز ، وفى قوله تعالى : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴿٣٩﴾ **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ** ﴿٤٠﴾ **ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ** ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم] ، دعوة أيضاً إلى الإنجاز ، وبلاغ عن الحساب على هذا الإنجاز ،« فكل امرئ سينال جزاء سعيه وافياً كاملاً لا نقص فيه ولا ظلم » [3] ، وسيكون : ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف] ، أى : « لكل درجات حسب عمله ، لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها » [4] .

حقاً إنها دعوة إلى العمل والإنجاز ، ليس الإنجاز المجرد ، ولكنه الإنجاز المتقن ، إنجاز يطلع عليه رب العباد ويجازى به .

٢ـ العلم بأصول المهنة أو الحرفة :

إن الإسلام يدعو إلى العلم مثلما يدعو إلى العمل ؛ لأن العلم أساس العمل ، والفكر يقود العمل ؛ ولذلك كانت أولى آيات القرآن التى نزلت على النبى ﷺ هى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴿١﴾ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ﴿٢﴾ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** ﴿٣﴾ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴿٤﴾ **عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴿٥﴾ ﴾ [العلق] ، ثم تتابع نزول القرآن الكريم ، ووردت به آيات كثيرة تدعو إلى العلم ، وتكرم أهله ، وترفعهم إلى أعلى الدرجات .

ولا يكتفى الإسلام بالإرشاد إلى أسباب العلم ووضع المنهج الصحيح للوصول إلى الحقائق ، ولكنه يدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيله واكتسابه والاستزادة فيه ليكون العلم

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٢ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٣٤١٥ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

أساساً للعمل [١] ، يقول تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه] ، أى زدنى منك علماً .

وكان رسول الله ﷺ يقول :« اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى » [٢] ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف] ، وفى هذا « إنكار على من يقول قولاً لا يعمل به ؛ ولهذا أكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا الإنكار عليهم بقوله: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾ »[٣] ، أى: « أن الإسلام يدعو إلى العمل بالعلم،وينفر من العمل بما لا يقتضيه العلم »[٤] ، قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل] ، تنبيهاً على أنه اقتدر بقوة العلم ؛ إذا نقل الذى عنده العلم « عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس فى لمحة بصر » [٥] .

وقال تعالى فى شأن الذين لم ينتفعوا بعلمهم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة] ، وفى هذا « ذم لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ، ثم لم يعملوا بها . مثلهم كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسياً ، وما يدرى ما عليه . وكذلك هؤلاء فى حملهم الكتاب ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه » [٦] ، أى أن المفروض من المسلم أن يعلم أولاً ، ثم يعمل بما يعلم .

وقال تعالى فى شأن اليهود أيضاً : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة] ، وفى هذا ذم من الله ـ تعالى ـ لليهود على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم ، حيث كانوا يأمرون بالمعروف ويدعون العمل [٧] ،

---

(١) عبد الرحمن بكر : علاقات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ .
(٤) عمر التومى الشيبانى :« نظرية المعرفة فى الإسلام » ، العلم والإيمان فى الإسلام ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص ١٨٥ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .
(٦) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .
(٧) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٨٥ .

وفى هذا تنفير من العلم بلا عمل .

إن المهن والحرف فى الإسلام لا بد أن تقوم على العلم حتى يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها ، ويتفهم قوانينها ، ويشرع فى نمائها .

والإسلام عندما يهتم بعلم الصنائع فإنه يهتم بالاستمرار فيه ؛ لأنه قابل للزيادة والنماء ، وهو ما تدعونا إليه الآيات الكريمة : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** (٨٥) ﴾ [الإسراء] ، أى : « وما أطلعكم من علمه إلا على القليل » (١) ، ويستدل من هذه الآية على أن العلم فى ازدياد ولا يقف عند نقطة معينة سواء العلم بصفة عامة أو علم الحرف بصفة خاصة ، والمسلمون مطالبون بأن يبحثوا فى نواحى المعرفة ما دامت فى نماء ، يقول تعالى : ﴿ **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** (٧٦) ﴾ [يوسف]، يقول ابن عباس: « يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم » (٢) ، وهكذا يتضح أن علم الحرف والمهن قابل للزيادة المستمرة وأن الفرد المسلم مطالب بتنميته والاستمرار فيه .

ولقد « ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شىء دونهم » (٣) ، فقال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (٣١) ﴾ [البقرة] .

وركز القرآن على الرفع من قيمة العلم فقال تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (١١) ﴾ [المجادلة] ، أى أنه يرفع الذين أوتوا العلم فى الثواب فى الآخرة وفى الكرامة فى الدنيا ، ويرفع العالم على من ليس بعالم .

« إن الإسلام يحضنا على التزود بالمعرفة والسعى فى طلب المزيد من العلم ، ذلك أن العلم هو المنطلق السليم الصحيح لاكتساب القدرات المختلفة . وللعلم هنا مفهومه الرحب الذى يشمل سائر المعارف النظرية والعملية النافعة لنا فى سائر نشاطاتنا الحرفية والمهنية » (٤) ، « فالمعرفة العلمية للمهن والحرف تمكننا من القضاء على الفقر المدقع ، وإعداد الدنيا لحياة أفضل » (٥) .

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٤) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

(٥) فكتور فركس: الإنسان التقنى ، تعريب إميل خليل بيدس ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت ، ص ٢١ .

والإسلام على قدر اهتمامه بالمعرفة قد اهتم أيضاً بالعمل « فهو يربط العلم بالعمل ربطاً محكماً لا انفصام له ؛ لأن العلم أساس العمل ، والعلم هو مفتاح المعرفة » (١) ، ورافع إنتاجية العمل والعمال على السواء ، « فالعلاقة بين العلم والعمل - فى نظر الإسلام - علاقة وثيقة » (٢) ، ومن ثم ينبغى أن يستزيد الفرد المسلم من العلم بالقدر الذى يعينه على أداء عمله على الوجه الأكمل ؛ لأن العلم يوسع مدارك الإنسان على وسائل الإنتاج الحديثة ويزيد من إنتاجه ، كما ينبغى تزويد الفرد المسلم بالقدر المناسب من المعرفة والتدريب بما يساعده على إتقان عمله وممارسة دوره ، كإنسان منتج فى المجتمع المسلم (٣) .

إن التربية الإسلامية تقرن العلم بالعمل ، والنظرية بالتطبيق ، ومن ثم « فهى لا تكتفى بالقول ، وإنما تتعداه إلى العمل والممارسة » (٤) ، ولا عجب أن نرى التربية الحديثة تقوم على أساس « الربط بين الأصول النظرية والممارسة العملية التطبيقية »(٥) ، أى « ربط النظريات بالنواحى العملية ، ومحاولة إزالة التفرقة بين العمل العقلى والعمل اليدوى » (٦) .

ولعل الإسلام قد خطا خطوة لم تصلها الحضارة الحديثة قبله ، وهى ربط العمل والحرف جميعاً بالشرع وتحقيق غاياته ، ذلك أن المسلم لا يقوم على حرفة أو مهنة إلا إذا عرف موقف الشريعة من تلك الحرفة أوالمهنة ، وما يجب عليه شرعاً فى أدائه لتلك الحرفة أوالمهنة ، ومن ثم يظل سلوكه الوظيفى أو المهنى فى إطار الشريعة وأخلاقياتها السامية .

بل إن المسلم عليه أن « يراعى تعاليم الدين وأخلاقياته فيما يكتسبه من معارف وعلوم وفى استخدامه وتطبيقاته لهذه المعارف والعلوم » (٧) ، وهذا يعنى أن التربية الإسلامية تحض على تزويد المحترفين بالمهارات المعرفية والسلوكية التى تمكنهم من السيطرة على الحرفة أو المهنة ، وبالتالى من زيادة دخلهم وتحسين مستوى معيشتهم .

إن المكلف لا يجوز له أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، فمن باع وجب عليه معرفة ما عينه الله وشرعه فى البيع ، ومن أجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله

---

(١) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتيكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق والصفحة . (٣) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٤) محمد منير مرسى : التربية الإسلامية ، أصولها وتطورها فى البلاد العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٢٣ .

(٥) محمد منير مرسى : الاتجاهات المعاصرة فى التربية المقارنة ،عالم الكتب ،القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١٦١ .

(٦) وهيب سمعان ، محمد منير مرسى : المدخل فى التربية المقارنة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٨١ .

(٧) عمر التومى الشيبانى : نظرة الإسلام فى المعرفة ، مرجع سابق ، ص ١٨٢ .

فى الإجارة ، ومن قارض وجب عليه أن يتعلم حكم الله فى القراضة . فلا يجوز الشروع فى شىء حتى يعلم ؛ فيكون طلب العلم واجب على كل حالة ، وفى ذلك كان يقول عمر بن الخطاب : (لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا فى الدين) ، أى من أحكام البيوع ، فإنه كان يُعلم كل من يتعاطى عملاً أحكامه وتكاليفه ، وقد أجمع علماؤنا أنه لا يجوز أن يتولى البيع والشراء ويجلس فى السوق إلا من هو عالم بأحكام البيوع والشراء . وإن تعلم ذلك عن إرادة فرض واجب متعين عليه ، وقد بعث عمر ابن الخطاب مَنْ يقيم مِنَ الأسواق مَنْ ليس بفقيه ، ولقد كان المحتسب فى الإسلام يمشى فى الأسواق ، ويقف على الدكان ، ويسأل صاحبه عن الأحكام التى تلزمه فى سلعته ، فإن أجابه أبقاه فى الدكان ، وإن جهل شيئاً من ذلك أقامه من الدكان، وأن علياً ﷺ قال : من اتجر بغير فقه فقد ارتبك فى الربا [1] .

فالتفقه فى الدين فرض عين على كل عامل أياً كان نشاطه أو نطاق عمله . وقد «روى عن على بن أبى طالب ﷺ أن رجلاً جاءه قائلاً : إنى أريد التجارة فادع لى ، فقال له : أوفقهت فى دين الله ؟ قال : أويكون بعض ذلك . فقال له على ﷺ : ويحك ، الفقه ثم المتجر » [2] ، وقد روى عن ابن عمر أنه قال :« من لم يتفقه فلا يتجر فى سوقنا » [3] .

« واذا كان تفقه العامل فى الإسلام واجباً وفرض عين ، فإن التفقه فى مجال عمله واجبا أيضاً وفرض عين ، وهذا يقتضى من العامل متابعة كل جديد فى نطاق عمله وصولاً إلى الإتقان والإبداع » [4] حتى يصل إلى درجة من السعادة ؛ لأن «العلم والعمل وسيلتا السعادة ، وأن العمل لا يتصور إلا بعلم بكيفية العمل » [5] ، وسوف نستعرض بعض الحرف والمهن كنموذج لما يجب أن يكون عليه المشتغل بها من علم .

يقول الشيرازى عن الطبيب : « والطبيب هو العارف بتركيب الأبدان ، وفراج الأعضاء ، والأمراض الحادثة فيها ، وأسبابها ، وأعراضها ، وعلاماتها ، والأدوية النافعة فيها ، وطريق مداواتها ؛ ليساوى بين الأمراض والأدوية فى كمياتها ، فمن لم يكن كذلك، فلا يحل له مداواة المرضى ، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه ، ولا يتعرض إلى ما لم يحكم علمه » [6] ،أى أن العلم النظرى للطبيب مهم جداً وشرط

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٦ ـ ١٩ .

(٢) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٥ ، نقلها من شرف الدين الحسن ، فى الروض النضير ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٨ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٥) أبو حامد الغزالى : ميزان العمل ، مكتبة الجندى ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١١٧ .

(٦) عبد الرحمن الشيرازى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

ضرورى لممارسة العمل التطبيقى .

« وكان المحتسب يمتحن الأطباء بما ذكره الطبيب الشهير حنين بن إسحاق (١٩٤هـ) فى كتابه المعروف (محنة الطبيب) ، فمن وجده فيما امتحنه عارفاً ، وكان خبيراً أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة الناس » (١) ، وكان على « الجراحين معرفة كتاب جالينوس المعروف بقاطاجانس فى الجراحات والمراهم ، وأيضاً كتاب الزهراوى فى الجراحة ، وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الإنسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب » (٢) .

أما بالنسبة للبياطرة « فينبغى أن يكون البيطار خبيراً بعلل الدواب ومعرفة ما تحتاج إليه ، وما يحدث فيها من العيوب، فيرجع الناس إليه إذا اختلفوا فى عيب الدابة »(٣) .

وبالنسبة للفصادين « فلا ينبغى أن يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين ، وأحاط بمعرفة تركيبها وكيفيتها ؛ لئلا يقع المبضع فى عرق غير مقصود أو فى عضلة أو شريان فيؤدى إلى زمانة العضو وهلاك المقصود » (٤) .

أما بالنسبة للوعاظ « فلا ينبغى لأحد أن يتصدى لهذا الفن إلا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة وأن يكون عالماً بالعلوم الشرعية » (٥) .

وبالنسبة للحلاق « فينبغى أن يكون بصيراً بالحلاقة » (٦) ، وبالنسبة للبزازين «فينبغى ألا يتجر فى البز إلا من عرف أحكام البيع وعقود المعاملات وما يحل فيها وما يحرم عليه » (٧) .

وقد اختلف الفقهاء هل يعين المخطئ فى حرفته أم لا ؟ فقال بعضهم : من أصاب مريضه على غير مقتضى الحكمة وصناعة الطب دفع ديته ، وقال آخرون : من لم يكن عالماً بالطب لا يحل له مداواة المرضى ؛ ولذا ذكر الكتانى فى كتابه التراتيب الإدارية (باب من لا يعرف الطب لم يكن يباح له أن يعالج الناس) ، علاوة على أنهم كانوا يحتاطون حتى لا يتعاطى الطب من ليس من أهله (٨) .

والخلاصة التى يمكن الخروج بها فى ضوء ما سبق ، أن التربية الإسلامية قد

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠١ .
(٢) المرجع السابق والصفحة .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٨٩ .
(٥) ابن الإخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، عنى بنقله وتصحيحه روبن ليوى ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٧٩ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ١٣١ .
(٨) انظر: عبد الرحمن الشيرازى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مرجع سابق ،ص ٩٨ ،وعبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .

ربطت بين العلم والعمل ، وجعلت العلم أساس العمل وغير ذلك من المبادئ التربوية التى لا زالت التربية المعاصرة تسعى لتحقيقها .

٣ـ القدرة على القيام بمتطلبات المهنة :

ينبغى على المسلم أن يختار العمل الذى يناسبه أو يستطيع أداءه بكفاءة ومقدرة ، فلا ينبغى أن يختار عملاً لم يؤهل له ولا يستطيع أداءه أو لا يحسنه ، وقد « جعل الإسلام العمل على قدر الطاقة » (١) ، فيقول عليه الصلاة والسلام: « فاكلفوا من العمل ما تطيقون » (٢) ، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سئل النبى ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : « أدومها ، وإن قل » ، وقال: « اكلفوا من الأعمال ما تطيقون » (٣) .

وقد نفذ رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون لهم بإحسان هذه القيمة الكريمة فيما يخص الولايات والمسئوليات ، فوضعوا كل إنسان فى مكانه ، « فنجد الرسول الكريم يختار معاذ بن جبل ليوليه اليمن لفقهه ورجاحة عقله وخلقه ، وعمر عاملاً على الصدقات لعدله وحزمه ، وخالد للجيش لمهارته وحنكته العسكرية ، وبلالاً لبيت المال لأمانته وتدبيره ، ويرد أبا ذر والأشعريين لضعفهم ، ويمضى أبو بكر على نهجه فيولى زيد بن ثابت جمع القرآن لعلمه وكياسته ومكانته ، ويأتيه رجل يطلب استعماله فلا يجده صالحاً فيرده » (٤) .

« عن أبى موسى قال : دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله ، أمِّرنَا على بعض ما وَلاَّك الله ، عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه » (٥) ؛ لأنه غالباً لا يكون كفؤاً له ، وعن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله ، ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب يده على منكبى ، ثم قال : « يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها إمارة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدّى الذى عليه منها » (٦) .

وهكذا نجد رسول الله ﷺ يوضح لنا أن العامل لا بد وأن يكون مقتدراً على عمله مؤهلاً له « وهذا الحديث أصل عظيم فى اجتناب الولايات ، لاسيما لمن كان فيه ضعف

---

(١) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ١٢٢ .
(٤) أحمد محمد العسال ، فتحى أحمد عبد الكريم : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦، ص ٦ .
(٦) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٧ .

عن القيام بوظائف تلك الولاية » (١) .

إن الإسلام يدعو إلى إسناد الأعمال (الوظائف والحرف) إلى ذوى القدرة والأمانة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قصة موسى عليه السلام ؛ إذ قال على لسان ابنتى شعيب : ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦)** ﴾ [القصص] ، والقوى هنا من تتوفر فيه القدرات البدنية والذهنية التى يتطلبها العمل بحسب طبيعته ومتطلبات أدائه ، وقد توفرت القوة والأمانة فى سيدنا موسى مما أهله لرعى الغنم لشعيب عليه السلام ، ويروى « أن شعيباً سأل ابنته حين قالت : ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ فقال لها : وما علمك بذلك ؟ قالت : إنه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلا عشرة رجال » (٢) ، فكانت قدرته شرط من الشروط التى أهلته للقيام بالسقاء للغنم .

«ولم يباشر شعيب أمر غنمه لضعفه »(٣) ،الناتج عن كبره فى السن ، ويتضح ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣)** ﴾

[القصص]

وفى القرآن الكريم آيات متعددة تجلى هذا المبدأ مثل قوله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)** ﴾ [البقرة] ، « أى : لا يكلف الله نفساً إلا طاقتها » (٤)، وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾،« أى : لا تحملنا من الأعمال مالا نطيق » (٥) .

وقال تعالى : « ﴿ **وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢)** ﴾ [المؤمنون] ، وهذه الآية ناسخة لجميع ما ورد فى الشرع من تكليف لا يطاق » (٦) ، فكل تكليف للإنسان لا بد أن يكون على قدر الطاقة . قال تعالى : ﴿ لا

---

(١) يحيى بن شرف بن حزام النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٨٩ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٦٩ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٢٩ .
(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ .
(٦) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ .

﴿ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ويقول تعالى : ﴿ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾ [البقرة] ، « والموسع : الذى اتسع حاله ، يقال : فلان ينفق على قدره أى على وسعه ، والمقتر : المقل القليل المال » (١) ، ويستدل من هذه الآية على أن القدرات بين الناس مختلفة ،وأن الاختلاف طبيعة لابد أن تراعى ، يقول تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) ﴾ [الطلاق] ، « أى : لا يكلف الفقير فى النفقة على زوجته مثل ما يكلف الغنى » (٢)؛فلكل منهما قدرة معينة ، وإنه لمن الظلم أن نوحد ونساوى بين الاثنين على ما بينهما من اختلاف فى القدرات والأرزاق .

إن « العمل فى الإسلام على حسب الطاقة تكليف إلهى . وعلى الفرد أن يستغل مواهبه فى التعمير والإنتاج ، وألا يكون سعيه على قدر القوت ، بل يكون على قدر طاقته ومواهبه . واختلاف الناس فى المواهب يدل على أن كلاً منهم قد خلق لعمل معين » (٣) ، « وكل ميسر لما خلق له » (٤) ، « وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم بما يطيقون » (٥) .

وكأن رسول الله ﷺ يأمرنا بأن نعطى الأعمال للقادر عليها ؛ وإلا وجب علينا إعانتهم فى الانتهاء منها ، فقال ﷺ : « من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » (٦) .

وعن أبى ذر قال : قلت : يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ، قال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » ، قال : قلت : أى الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمناً » قال : قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : « تعين صانعاً ، أو تصنع لأخرق » (الذى لا يحسن الصنعة) ، قلت: يا رسول الله ، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس ؛ فإنها صدقة على نفسك » (٧) .

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٨ ، ص ١٧٢ .
(٣) حلمى عبد المنعم صابر : النظام المالى فى الإسلام وتحقيق مجتمع الكفاية والأمن ، الطبعة الأولى ، الطباعى العربى للطبع والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٨ ، ٩ .
(٤) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٩ ، ص ١٩٥ .
(٥) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١ ، كتاب الإيمان .
(٦) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤ ، كتاب الإيمان .
(٧) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٦٢ ، باب الإيمان .

ويتضح من الحديث ضرورة القدرة على عمل الأشياء لتوافر عنصر الإنجاز . وإن من الخير أن يعين المسلم أخاه الذى لا يحسن صنعته أو الذى لا يستطيع أن يقوم بها لضعف مقدرته ، كما يستدل من الحديث أنه عندما يضعف الإنسان ولا يستطيع أداء عمل معين ، فإن عليه أن يتجه لأداء عمل آخر يتواءم وقدراته .

ولقد ولى علماء المسلمين هذا المبدأ عناية كبيرة فيقول الغزالى ناصحاً المعلم « بأن يقتصر بالمتعلمين على قدر إفهامهم فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجلى وإلى الخفى من الظاهر هجوماً وفى أول رتبة ، ولكن على قدر الاستعداد والقدرة » (١) .

ولهذا كان يقال : « الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره ، والمراد بصغار العلم : ما وضح من مسائله ، وبكباره : ما دق منها ، وقيل : يعلمهم جزئياته قبل كلياته ، أو فروعه قبل أصوله ، أو مقدماته قبل مقاصده » (٢) .

أى لابد أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه وتدرجه فى معارف الحرفة أو المهنة ، فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله حتى لا ينفر منها،وكذلك لا يحمل من العمل ما فوق طاقته .

كما حثت التربية الإسلامية « المربين المسلمين على ضرورة مراعاة استعداد طلاب المرحلة الأولى والكتاتيب وغيرها من المراحل ، بحيث يوجه كل فرد وفق قدراته إلى التعليم الذى يناسبه أو المهنة أو الحرفة التى تناسبه » (٣) ، بعد أن يلم بالأساس النظرى لهذه الحرفة أو المهنة .

وإذا كان الفرد لابد أن يكون عارفاً بأصول المهنة قبل الالتحاق بها ، فإنه قد لا يستطيع القيام بمتطلبات مهنته مالم يتوفر لديه الاستعداد والقدرة على هذا العمل . يقول ابن خلدون : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان التدريج شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلاً ، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب ، ويقرب له فى شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى ذلك قوة عقله ، واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم » (٤) .

وقد اعتنت التربية الإسلامية بالمواهب والاستعدادات والقدرات المختلفة ، وبدى علماء التربية الإسلامية ـ خاصة ابن سينا ـ ضرورة مراعاة ميول المتعلم واستعداداته وقدراته عند إرشاده إلى نوع العلوم التى تناسبه أساساً لتربيته ولمهنته أو حرفته ، فقال :

---

(١) الإمام الغزالى : ميزان العمل ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٣) عبد الرحمن النقيب : مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

(٤) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٥٠٢ .

« ليس كل صناعة يروقها الصبى ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجاب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ، ما كان أحد غفلاً من الأدب وعارياً من صناعة ، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات ، وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق عليها بشىء » (١) .

وهكذا يرى ابن سينا أن من الواجب على القائمين على العملية التربوية أن يبحثوا عما يناسب ميول المتعلم واستعداداته وقدراته من العلوم والمهن والحرف التى يرغب فى التخصص فيها مستقبلاً ، وهو ما تؤكده التربية المعاصرة التى « ترمى إلى إعداد الفرد لأن يؤدى خدمة نافعة للجميع ، بينما تعده فى نفس الوقت لأن يحصل بنشاطه وجهده الشخصى على عمل يلائم قواه الطبيعية واستعداده » (٢) ، وإذا كانت المواهب أمراً طبيعياً فإن التخصص فى المواهب بمنزلة أمر شرعى بأن يعمل كل فرد فى الميدان الذى أعد له « وأن يتجه المرء فى سناحى الإنتاج والكسب إلى الوجهة التى تيسرها له طبيعته وقدراته » (٣) .

« وحين يرتبط الفرد بالعمل الذى تؤهله له قدراته ومواهبه يمكن أن يصبح العمل مصدراً مهماً لتحقيق الذات وتقديرها ، من خلال ما يشعر به الفرد من إنجازات يقدمها للمجتمع ومدى أهمية ما يقوم به من عمل » (٤) .

أما حين تتطلب المهنة قدرات أوسع مما يملكه صاحب الحرفة ، فإنه غالباً ما يصاب بالإحباط ، ويفقد المجتمع ما كان يملكه من قدرات ـ وإن صغرت ـ فهو فى النهاية لن يستفيد منها .

٤ ـ مراعاة الفروق الفردية :

الناس بحكم الفطرة التى خلقهم الله عليها ـ يختلفون فى الميول والنزعات التى تتعلق باختيار المهن والحرف ؛ ولذلك نجد حرص الإسلام على أن يتجه الأفراد إلى الحرف والمهن التى تتلاءم مع استعدادهم الجسمانى والعقلى والنفسى ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً (٨٤) ﴾ [الإسراء] .

أى : « قل يا محمد : كل يعمل على حدته وطبيعته فسيجزى كل عامل بعمله »(٥) ،

(١) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٤ ، نقلها من : ابن سينا كتاب السياسة ، نشرة لويس معلوف ، مجلة المشرق البيروتية ١٩٠٦م ، ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

(٢) جون ديوى : التربية فى العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ، محمد حسين المخزنجى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٥٢ .

(٣) عبد السميع المصرى : مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٤) سيد عبد الحميد مرسى : الشخصية المنتجة ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

ويقول رسول الله ﷺ : « اعملوا فكل ميسر » (١) ، وفى رواية أخرى : « كل ميسر لما خلق له » (٢) .

فهذا بيان بأن الأفراد مختلفون فى القدرات والمواهب ، وأن لكل منهم طبيعة خاصة لا تتمشى إلا مع أعمال معينة ، فإذا سلمنا بهذا فإنه يكون بديهياً أن الأرزاق تختلف باختلاف القدرات والمواهب .

يقول الله تعالى : ﴿ **لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ** (٢٣٦) ﴾[البقرة]، أى: «ومتعوهن على قدر طاقتكم من الوسع أو التقتير» (٣)، وفى هذا تأكيد على أن الناس مختلفون فى القدرات والأرزاق ،وأن الاختلاف طبيعة . ويؤكد الحق سبحانه وتعالى ذلك فى موضع آخر فيقول تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** (٧١) ﴾ [النحل] ، ففى هذه الآية الكريمة نص صريح على تفاوت الأرزاق بين الناس ، فمنهم الغنى والفقير ، والحر والعبد (٤) .

« والتفاوت فى الأرزاق ظاهرة فى كل مجتمع ، وتأتى عن ظاهرة التفاوت فى القدرات الشخصية ؛ ولذلك لا ينبغى تأويل المفاضلة فى الرزق بأنه تكريم للأغنياء وامتهان للفقراء ، كما يتبادر للذهن عند النظرة السطحية ، وإنما هو تنظيم محكم يكفل التعاون ؛ إذ يختص كل فرد فى المجتمع بوظيفة يقدر عليها ، وإن التسوية المطلقة بين العمال مطلب غير عملى ؛ إذ ثبت بالتجربة استحالة الوصول إليه » (٥) .

إن الناس إذا ما اختلفوا قام المجتمع؛لأن الاحتياجات الضرورية للإنسان مختلفة ، ولا بد أن يقابل هذا الاختلاف فى الضروريات اختلافاً فى القدرات البشرية ، وهو ما نجده بين الأفراد؛إذ نجد «أن لكل إنسان درجته وقدرته. وطبيعة الحياة قائمة على أساس التفاوت فى: مواهب الأفراد ، والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل . ولو كان الناس جميعاً نسخاً مكررة ما أمكن أن تقوم الحياة كما هى بهذه الصورة ، ولبقيت أعمال لا نجد لها مقابلاً للكفايات . والله الذى خلق الحياة وأراد لها الحركة والنمو هو الذى خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها » (٦) .

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ج ٨ ، ص ١٥٤ .
(٢) المرجع السابق ج ٩ ، ص ١٩٥ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ج ٣ ، ص ٢٠٣ .
(٤) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٤١ .
(٥) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٢١ ، ٢٢ .
(٦) سعد المرصفى : العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، دار البحوث العلمية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ٢١٤ .

يقول تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [الزخرف] ، أى أن الله أفقر قوماً وأغنى قوماً وفاضل بينهم ؛ ليسخر الأغنياء الفقراء ؛ فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض » (١) .

إن الإسلام يعترف بالتفاوت الفطرى بين الأفراد فى الملكات والمواهب والجهد ، ولكن هذا التفاوت ما دامت الفرص متكافئة فى إتاحتها للكافة ، لا يمس تماسك المجتمع ، ومن ثم وجد فى الإسلام درجات ، ولم يوجد فيه طبقات (٢) ، فقد وجد فى العصور الإسلامية الأولى فروق درجات بين الأفراد ، ولم يوجد صراع طبقى ، ودموية المنازعات بين أصحاب العمل وبين العمال ، وذلك أن إيمان العامل المسلم بالتفاوت فى القدرات والمناصب « يجعله صاحب قيم، وسماحة ، وأخلاق ، وقناعة ، غير أنانى ، ولا فردى ، بل متراحماً ، متكافلاً ، متعاوناً ، وإن لم يكن مؤثراً المجتمع على نفسه » (٣) .

ومن البديهات أن الله خلق البشر متفاوتين فى صفاتهم ، وأن استجابة كل مخلوق للتربية المهنية تختلف من فرد إلى فرد ، « فالناس متباينون ، فمنهم الذكى العبقرى ، والبليد الغبى ، وصاحب المواهب الفنية ، ومن ليست له مواهب لا فنية ولا غير فنية . ووجب على كل مجتمع أن يسعى إلى تنمية مواهبه البشرية وقدراته الإنتاجية للحصول على أقصى نفع ممكن، وكذلك تأهيل أفراده للأعمال المطلوبة ، وتخصيصهم فى أعمال وتخصصات متنوعة،ومحاولة الاستفادة حتى من هوايات العجزة والمقعدين » (٤) ، ولكن لا يكون ذلك إلا بعد معرفة قدراتهم وميولهم وخلفياتهم المعرفية واتجاهاتهم .

ومن السمات المميزة للتربية الإسلامية أنها «تؤمن بالفروق الفردية وتقيم لها وزناً ، فى مناهج التربية وطرائقها ، وتؤكد على أهمية الكشف عن القابليات الفردية ، وتوجه كل إنسان إلى ما هو أهيأ بحكم فطرته واستعداداته واتجاهاته » (٥) .

ولقد كان لهذه النظرة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة صداها الواضح فى التربية الإسلامية ؛ فقد « عرف المربون المسلمون فكرة التوجيه التربوى المهنى نظراً لما بين المتعلمين من فروق فى القدرات والاستعدادات ؛ ولهذا نادى المربون المسلمون بضرورة مراعاة هذه الفروق » (٦) .

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ٨٣ .
(٢) عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٣٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٩ . (٤) المرجع السابق ص ١٠٦ .
(٥) عبد الغنى عبود : التربية الإسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٨١ .
(٦) محمد كمال طه : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٦٣ .

ولقد كانت عملية التوجيه المهنى تبدأ بعد أن يتلقى الصبى قدراً من العلوم الضرورية فى الحياة ، « ثم عليه بعد ذلك أن يتجه إلى العلم أو الحرفة على حسب استعداده وتكوينه ؛ إذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم ، فإذا اتجه إلى العلم الذى يقبله طبعه ، فما كل من يصلح لتعلم العلوم يصلح لجميعها » (١) .

فإن من يصلح لمهنة أو حرفة معينة قد لا يصلح لغيرها ؛ وذلك لما بين المتعلمين من فروق « بالنسبة لفروع المعرفة المختلفة ، وكذلك بالنسبة لكل ما يمكن تعلمه من مهارات الحياة المتعددة » (٢) .

ولا يرى علماء المسلمين شراً فيما بين الناس من فروق ، بل إنهم يربطون بين استقامة أمور الناس وبين المحافظة على ما بين الأفراد من فروق ، وقد « ظهر ذلك واضحاً فى كتاب (المدينة الفاضلة) للفارابى ، كما جاء على لسان الأصمعى : (لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساووا هلكوا) » (٣) .

وقد أدرك المربون المسلمون هذه الحقيقة ، فاهتموا بتوجيه الصبى تربوياً ومهنياً ، فى نهاية المرحلة الأولى من التعليم الإسلامى مع مراعاة ميوله واستعداداته ، واتخاذها أساساً فى تحديد مستقبله عند إرشاده إلى المهنة التى يختارها فى مستقبل حياته (٤) .

وفى هذا المعنى يقول ابن سينا : « فلذلك ينبغى لمدير الصبى إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبى ، ويسير قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك » (٥) .

يريد ابن سينا بذلك أن يوجه الصبى إلى الصناعة التى يرغب فيها وتتوافق مع قدراته وإمكاناته .

كما سبق أن وجدنا الغزالى ينصح المعلم بأن يقتصر للمتعلم على قدر فهمه ؛ فلا يلقى إليه مالاً يبلغه عقله . وفى ذلك دليل على عناية فقهاء المسلمين بالفروق الفردية .

إن التربية الإسلامية بهذا قد حققت ما تصبو إليه التربية الحديثة من ضرورة مراعاة ميول الأفراد وقدراتهم واستعداداتهم ، وجعلها أساساً لتوجيههم التوجيه السليم ، وإعدادهم للتهيؤ فى مستقبل حياتهم ، ومراعاة ما بين المتعلمين من فرق .

---

(١) أحمد شلبى : التربية الإسلامية (نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها) ، مرجع سابق ص ٢٩٩ .

(٢) سعيد إسماعيل على : «العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » ، دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢٠٠ .

(٣) عبد الحميد جابر : الذكاء ومقاييسه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٠ .

(٤) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٦٤ .

(٥) المرجع السابق والصفحة ، نقله من ابن سينا كتاب السياسة ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

ثانيا : الأصول الاجتماعية للتربية المهنية فى الإسلام

١ـ النظرة الإسلامية للعمران :

الإسلام دين يعد الإنسان للآخرة ، كما يعده لأن يكون عضواً فعالاً ومثمراً فى المجتمع ، « والتمدن الإسلامى يقوم على فلسفة خاصة به فى : الكون ، والوجود ، والإنسان ، والمجتمع ، والأخلاق . وإذا كان التمدن غير الإسلامى يمكن أن يركز على الجانب الروحى فقط أو الجانب المادى والعمرانى فقط ، فإن التمدن الإسلامى يقوم على الاهتمام بالجانبين معاً . بل لقد أدرك فقهاء الإسلام منذ البداية أن صلاح أمور الدنيا ضرورى لصلاح أمور الدين » (١) .

يقول الإمام الغزالى :« إن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا،ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله ـ عز وجل ـ لا لمن اتخذها مستقراً ووطناً » (٢) .

كما يقول فى موضع آخر : « الأشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والأعمال التى ترى الخلق منكبين عليها ، وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث : القوت ، والمسكن ، والملبس ، فالقوت للغذاء والبقاء ، والملبس لدفع الحر والبرد ، والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ، ولم يخلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ القوت والمسكن والملبس مصلحاً بحيث يستغنى عن صفة الإنسان فيه ، نعم خلق الله ذلك للبهائم ، فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبخ ، والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه ، فيستغنى عن البناء ويقتنع بالصحراء ، ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس ، والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة للعمل » (٣) ، أى أن الغزالى « يصنف المهن والحرف إلى: ضرورية لا بد من توافرها والبدء بها وإلا تعرضت حياة الناس إلى : خطر الجوع والعرى ، وعدم وجود المأوى ، وانتشار الفوضى ، ومهن خادمة أو مساعدة للمهن الأساسية ، ومهن متممة للعمران البشرى ، ثم يقرر أن هذه المهن والحرف حسب تدرج أهميتها فى حياة البشر إنما هى فروض كفاية ، لا يجوز أن يخلو منها المجتمع ، وإلا أثم شرعاً ؛ لأنه يعرض أفراده إلى المشقة الحياتية »(٤) ،

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٢١ .

(٢) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٤) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٢٢ .

كما يقول أيضاً : « إن أصول الصناعة أيضاً من فروض الكفايات ، كالفلاحة ، والحياكة ، والسياسة ، بل الحجامة ، والخياطة ؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام لسارع الهلاك إلى أهلها » (١) .

« وهذه النظرية الإسلامية للعمل تسوى بين تلك المهن والحرف عندما يجعل الإمام الغزالى الفلاحة والحياكة والسياسة ، بل الحجامة والخياطة من فروض الكفايات » (٢) .

إن عمارة الدنيا أمر ضرورى لتوصيل رسالة الإسلام وهل يمكن أن يستقيم دين قوم لا يعلمون ولا يتنجون ، ويعيشون فى ضيق وفقر وحاجة ؟

بل « إن الدين وتعاليمه إنما جاءت لعمارة هذا الكون فى إطار أخلاقى رشيد ، وسنجد هذا المعنى يتردد فى جميع كتابات فقهاء الإسلام على مر العصور وحتى عصرنا الحديث . وهذا مفكرنا الأزهرى رفاعة الطهطاوى يؤكد على ذلك المعنى ، عندما يرى أن كمال التمدن والعمران إنما يقوم على أصلين : معنوى ، وهو التمدن فى الأخلاق والآداب ، يعنى التمدن فى الدين والشريعة ، والأصل الثانى : تمدن مادى ، وهو التقدم فى المنافع العمومية ، كالزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، ويختلف قوة وضعفاً باختلاف البلاد ، ومداره على ممارسة العمل وصناعة اليد ، وهو لازم لتقدم العمران » (٣) .

إن الإسلام ليس دين زهد وليس من مراميه حرمان المسلمين من طيبات ما أحل لهم : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** (٣٢) ﴾ [الأعراف] .

« ولقد خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا فى الأرض لتوفيرها وتحصيلها فتنمو الحياة وتتجدد ، وتتحقق خلافة الإنسان فى هذه الأرض ، ذلك على أن تكون وجهتهم فى هذا المتاع هى الآخرة ، فلا ينحرفون عن طريقها » (٤) .

إن « الزهد فى نعم الله ليس فضيلة ، إنما الفضيلة هى فى تمتع الإنسان بها فى حدود القيم التى رسمها الدين لإثراء سعادته ، وهذه القيم تتخلل نواحي النشاط الإنسانى بأسرها ، ذلك أن الإسلام لا يرى أن فى الحياة قطاعاً يمكن اعتباره قطاعاً دنيوياً بحتاً ، فالعمل فى كل مجال من مجالات النشاط الإنسانى هو عمل روحى

---

(١) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ج ١ ، ص ١٧ .

(٢) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢١ ، نقلها من : رفاعة الطهطاوى : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية ص ٢٥٠ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٢٧١١ .

شريطة أن ينسجم مع قيم الإسلام وغاياته » (١) .

« إن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التحمل والتشمر والاكتساب ،وليس التشمر فى الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد معين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة » (٢) .

إن استعادة العزة التى كتبها الله للمؤمنين والتمكين لهم فى الأرض من الأمور التى لا تقل أهمية عن فريضة الصلاة والصيام ، بل هذه العزة وهذا التمكين يمثلان الضمان لإقامة فرائض الإسلام كلها ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** (٤١) ﴾ [الحج] .

ومن المسلّم به أن المسلم لا يمكن له إقامة الفرض إلا بالمهن والحرف ومن ثم تكون المهن والحرف فرض كفاية عليه ، وبيان أن الإنسان لا يستطيع أداء الصلوات الخمس إلا بالقوت ، ولتحصيل القوت لابد من الاشتغال بالزراعة أو التجارة ؛ ولأنه لا يتوصل إلى أداء الصلاة إلا بالطهارة ولابد فيها من وجود صنبور مياه أو كوز أو دلو للحصول على هذه الأشياء لابد من الاشتغال بالصناعة ، وكذلك لا يتوصل الإنسان إلى أداء الصلاة إلا بستر العورة ، وإنما يكون ذلك بثوب ولا يحصل له إلا باكتساب عادة من تجارة الثوب أو صناعته (٣) ، « وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب » (٤) .

إن أى أمة ذات رسالة لابد لها من وسائل التمكين فى الأرض حتى لا يقضى على رسالتها ، ومن ثم كان طبيعياً أن يهتم الإسلام بالمهن والحرف ؛ لأنها من أساسيات القوة التى تمكن المسلمين من أداء شعائرهم فى أمن وأمان .

٢ ـ النظرة الإسلامية للإنسان :

يعتبر الإنسان هو مركز الدائرة الحضارية إذ يقول مالك بن نبى إن : « الحضارة = إنسان + تراب + وقت » (٥) ، « والفكرة الدينية لا شك فى أنها تقوم بعملية المزج بين هذه العناصر الثلاثة » (٦) .

---

(١) محمد عمر شبرا : النظام الاقتصادى فى الإسلام ، بحث فى أهدافه وطبيعته ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الرابع عشر ، أبريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٧٨ ، ص ٧٥ .

(٢) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٣) محمد بن حسن الشيبانى : الكسب ، الطبعة الأولى ، تحقيق سهيل ذكار ، مكتبة الحرصونى ، دمشق ١٤٠٠ هـ ، ص ٧٨ .

(٤) محمود حمدى زقزوق :الحضارة فريضة إسلامية ،مجلة المسلم المعاصر، العدد الثالث والستون ، رجب ، شعبان ، رمضان ١٤١٢ هـ ، ص ٣٤ .

(٥) مالك بن نبى : شروط النهضة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، عمر كامل مكاوى ، دار الفكر ، د . ت ، ص ٤٥ .

(٦) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

وإذا كان الإنسان بصفة عامة هو العنصر الفعال الإيجابى فى العملية الحضارية كلها ، فإن هذا يقتضينا أن نبحث موقف الإسلام من الإنسان لنتعرف عليه وعلى مكانته فى تعاليم الإسلام .

إننا إذا تدبرنا أول ما نزل من الوحى القرآنى على رسول الله ﷺ فسيتضح لنا التركيز على العناية بشأن الإنسان بصفة خاصة ، ويتجلى ذلك بوضوح من ذكر لفظ الإنسان مرتين فى الآيات الخمس الأولى من الوحى ، مع التركيز أيضاً على العلم وأدواته ، قال تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ [العلق] .

إن مسئولية الإنسان الكبرى التى ارتضى أن يتحمل أعباءها بعد أن أشفقت من حملها السموات والأرض والجبال تعد تكريماً له قال تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢)** ﴾ [الأحزاب] .

إن تحمل المسئولية يعنى الحرية ، ويعنى استقلال الشخصية ، وتتركز هذه المسئولية الكبرى ـ التى تتمثل فى الخلافة عن الله فى الأرض لعمارتها ـ على مسئولية الإنسان عن نفسه ، كما أن الإنسان مسئول عن استخدامه أو عدم استخدامه لوسائل الإدراك العقلية والحسية ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)** ﴾ [الملك] .

وأكد القرآن الكريم الكرامة الإنسانية فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)** ﴾ [الإسراء] ، وفى هذه الآية خبر عن تشريف الله « لبنى آدم وتكريمه إياهم فى خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ،كما فضلهم على سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات » (١) .

وعماد تكريم ابن آدم حريتهُ فى عبوديته واختيار عقيدته ، يقول تعالى : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)** ﴾ [البقرة] ، « ومن هذه الآية يتضح لنا أن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه ، فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه » (٢) ، بل ترك لغير المؤمن به « أقصى

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥١ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

درجات الحرية والحماية فى مزاولة عباداتهم وإقامة شعائرهم الدينية وفرائضهم التعبدية، ويبلغ من دقة إحساسه لهذه الحرية أن فرض الزكاة على المسلمين وأوجب ما يقابلها من الجزية على غيرهم ، وعدم فرض الزكاة على الذمين وأهل الكتاب يرجع إلى أن الزكاة شعيرة تعبدية وركن من أركان الإسلام ؛ ولذلك لم يشأ أن يفرض أى نوع من أنواع العبادات الإسلامية على غير المسلمين ، والتزم بحماية دافعى الجزية وتأمينهم فى عقائدهم ومعاشهم » (١) .

وبجانب هذه الحرية نجد الحرية العلمية التى شملت فروع العلم وأنواع المعارف المختلفة ولم يحرم منها أحد يمتلك من مواهب العقل والنبوغ ما يؤهله إلى أعلى الدرجات ، وهذا النوع من الحرية هدية من هدايا القرآن لم تحصل عليه الإنسانية فى تاريخها الطويل ، إلا مع بزوغ شمس هذا الكتاب الخالد الذى جعل العلم حقاً مشاعاً لجميع البشر ، فامتلأت حلقات المساجد والمدارس ودور العلم بطلاب المعرفة من كل جنس وكل لون ، واستطاع العقل فى هذا الجو العلمى أن ينطلق فى ميادين الآداب والفلسفة والعلوم ، وأن يجتهد ويستنبط من نصوص الشريعة ما تؤهله لذلك وسائل الاجتهاد والاستنباط وأن يتدبر الكون وأحداثه وأن يناقش الآراء ويفاضل بينها ويختار منها ما يراه أقرب للصواب وأوفق للعقل (٢) .

كما قرر الإسلام ما يسمى بالحرية المدنية ومعناها أن الفرد البالغ الرشيد له الحق فى تحمل الالتزامات العامة والخاصة فى الحياة ، فالفرد البالغ له الحق فى أن يختار نوع العمل الذى يتفق وطاقته الجسمية والعقلية ، كما أنه أعطى الفرد حرية البيع والشراء والتملك والانتقال من مكان إلى مكان آخر وغير ذلك .

ففى جانب العمل يقول تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وفى الهجرة يقول تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)** ﴾ [الملك] .

هذا عن قضية الحرية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان داخل مجتمعه ، أما عن الحرية فى تصرفات الفرد نفسه وهل صدرت أعماله وتصرفاته عن رغبة منه فى حرية مطلقة أم أنه مقيد الحرية وهو مجبر فى أعماله من جهة الخالق ؟ نجد أن آيات القرآن الكريم منها ما يحمل معنى الجبر ، يقول تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)** ﴾ [هود] ، ويقول تعالى : ﴿ **قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)** ﴾ [الفتح] ،

---

(١) محمد فؤاد الهاشمى: الأديان فى كفة الميزان ، دار الكتاب العربى بمصر ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٧٣ .

(٢) عبد الفتاح عاشور : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٤٥٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠) ﴾ [الإنسان] ، ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَه ﴾ [الرعد : ١١] .

وبجانب هذه الآيات نجد أن هناك آيات أخرى تحمل معنى الاختيار وحرية الإرادة مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِه وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾ [يونس] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وهذة قضية كثر النقاش حولها بين الفرق الإسلامية وتأثيرات آراء الفرق الإسلامية بالفلسفة الإغريقية تعقيداً لا تعرفه العقلية الإسلامية الواضحة ، ولو أخذ الأمر بمنهج القرآن المباشر الميسر ما اشتد هذا الجدل وما سار فى ذلك الطريق (١) .

وتنحل عقدة الموقف بما يهدى إليه تدبر آيات الإرادة فى القرآن الكريم من أن مفهوم إرادة الخالق غير مفهوم إرادة المخلوق ، فإرادتنا كسبية مسبوقة بنية وعزم وتفكير ورغبة ، وهى تقوى وتضعف وتنفذ وتتعطل وليست كذلك إرادة الله حيث لا يجوز عليه سبحانه أى عمل أو صفة كسبية ، على ما هو مقرر فى علم التوحيد ، وإنما تفهم إرادة الله فى القرآن على أنها حكم نافذ وقضاء مبرم وليست كإرادتنا عزماً على أمر ، وسعياً إليه بوسيلة أو بأخرى (٢) ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس] ، ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ [الأنعام] .

وبهذا الفهم لا تعارض على الإطلاق بين إرادة الإنسان الكسبية الحرة ، وبين الإرادة الإلهية التى تقرر مصيره وتحكم عليه بما عمل وأراد (٣) .

إن الحرية التى أعطاها القرآن للأفراد هى حرية مضبوطة ، وبهذا وفر القرآن للإنسان مجالاً واسعاً للتأثير والإيجابية ، فالإنسان المسلم كامل الحرية لا تحد حريته إلا حرية أخيه الإنسان وأمن المجتمع (٤) .

وقد « ارتبطت الحرية بالمسئولية والكرامة فى وجدانه من قديم،بل وجدت حريته ، كضرورة تقتضيها مسئوليته ، أى أنه لكى يكون مسئولاً يجب أن يكون حراً » (٥) .

---

(١) عثمان جمعة :التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان ،دار الكلية الطبية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ،ص ٨٦ .
(٢) عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، دار الأحد ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٨ .
(٣) عائشة عبد الرحمن : الشخصية الإسلامية ، مرجع سابق ص ٤٩ .
(٤) على خليل أبو العينين : فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية قسم أصول التربية ، طنطا ، ١٩٧٨ ، ص ١٢٥ ، نشرت فى دار الفكر العربى ١٩٨٠ .
(٥) خالد محمد خالد : إنه الإنسان ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

ومن ثم تستطيع القول بأن الإنسان يتمتع بحمل الأمانة وهو حر فى عمله ، كما أنه مسئول عنه .

الإنسان خليفة الله فى الأرض :

إن تعاليم الإسلام تقرر أن كل شىء فى الوجود إنما هو ملك لله تعالى ، خالقه وخالق السموات والأرض وما بينهما ،وأن ما فى يد الإنسان من أشياء هى لله تعالى ، وأن ما فى يد الإنسان من مال إنما هو حائز لأمانة ووديعة أودعها الله بين يديه .

فالله وحده الذى له ملكوت السموات والأرض ، وهو مالك المال كله ، والإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، أمره خالقه بالانتفاع بهذا المال ، ومكنه من هذا الانتفاع للوفاء بحاجاته وإصلاح معاشه شريطة أن ينفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، ومصلحة الإنسانية بوجه عام وسوف يحاسب على ذلك كله يوم الحساب .

هذه العقيدة غرسها الإسلام فى وجدان المسلم من خلال الآيات القرآنية الكثيرة (١) نذكر منها قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)** ﴾ [الأنعام] ، وقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)** ﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢)** ﴾ [إبراهيم] ، وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٠٧)** ﴾ [البقرة] .

والمنطق البشرى يقتضى أن يكون خالق الشىء هو مالكه، وبهذا المنطق نفسه جاءت نصوص القرآن قاطعة فى أن الله له ملك السموات والأرض وما بينهما، قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)** ﴾[المائدة] ، وقال تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)** ﴾ [المائدة]

وقال تعالى : ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦)** ﴾ [طه] ، والله سبحانه وتعالى يملك كل هذا وحده دون أن يكون له فى ملكه شريك من البشر أو غير البشر ، قال تعالى : ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)** ﴾ [الإسراء] ، ثم سخر لهم

---

(١) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٤٣ .

كل ما خلق فى السموات والأرض ،وهيأ لهم استغلاله واستثماره ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾** ﴾ [لقمان] .

وقال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾** ﴾ [الجاثية] .

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يسخر ملكه لفرد دون فرد ، أو لفئة دون فئة ، وإنما سخره للبشر جميعاً ، وجعله مشاعاً بين عباده الذين استخلفهم فى الأرض ليعيشوا فيه وينتفعوا به .

ولقد استعمر الله سبحانه وتعالى البشر فى الأرض فقال تعالى : ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾** ﴾[هود]،« أى : طلب منكم عمارتها واستغلالها »[1]،كما جعلهم خلائف فى الأرض،قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾** ﴾ [يونس] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم** ﴾ [الأنعام :١٦٥]،« أى:جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، وخلفاً بعد سلف »[2] ، مثل قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٣٩﴾** ﴾ [فاطر] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾** ﴾ [البقرة] .

وقد اختلف العلماء من المراد بالخليفة على قولين : أحدهما : أنه آدم عليه السلام ، وقوله تعالى : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ ذريته ، والآخر : أنه ولد آدم[3] .

إن الملائكة حينما قالت لله تعالى : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ...** ﴾ « قد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا فى بناء هذه الأرض وعمارتها ، وفى تنمية الحياة وتنويعها ، وفى تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود فى تطويرها وترقيتها وتعديلها على يد خليفة

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٧٠ .

الله فى أرضه ، هو الذى قد يفسد أحياناً وقد يسفك الدماء أحياناً ليتم من وراء هذا الشر الجزئى الظاهر خير أكبر وأشمل ، خير النمو الدائم والرقى الدائم ، خير المحاولة التى لا تكف والتطلع الذى لا يقف والتغيير والتطوير فى هذا الملك الكبير » (١) .

« إن الإنسان قد اختص بالخلافة على هذه الأرض بحكم القانون الأزلى ، أو بحكم الواقع الذى تقرره العلاقة السببية الثابتة ، ومضمون خلافته فى الأرض هو نفس علة وجوده ، والحكمة من خلقه هو استعماره الأرض وإصلاحه فيها ، وخلافة الإنسان فى الأرض تعنى قوامة بنى آدم على ما عداه والقوامة تتضمن أمرين :

أولا : الحماية أو المحافظة على الذات . ثانياً : الإصلاح ومقتضاه تحقيق النماء » (٢) هذا وقد « بين الله سبحانه وتعالى لعباده الذين استخلفهم فى الأرض ، أنهم حينما يستغلون ويستثمرون ما خلقه الله ، ويحصلون على منافعه لا يأتون بشىء من عندهم ، وإنما هو رزق الله يسوقه إليهم » (٣) ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)** ﴾ [سبا] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)** ﴾ [فاطر] .

وإذا لم يكن ثمة من يرزق غير الله ،فعلى البشر أن يطلبوا الرزق من الله وحده ، وأن يبتغوه عند الله ، قال تعالى : ﴿ **فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)** ﴾ [العنكبوت] .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى البشر أن ينفقوا من ماله الذى استخلفهم فيه وجعلهم قوامين عليه ، قال تعالى : ﴿ **آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)** ﴾ [الحديد] ، وما أمر الله عز وجل البشر أن ينفقوا إلا ليذكرهم بأنهم ينفقون من ماله الذى آتاهم ، ورزقه الذى ساقه إليهم ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)** ﴾ [البقرة] ، وبمقتضى هذه الآيات السابقة يصير الإنسان خليفة الله على كل ما فى حيازته ، ومن ثم فعليه أن يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قياماً أميناً واعياً .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥١ .

(٢) محمود أبو السعود : الفكر الإسلامى المعاصر ، مضمونه ومستقبله ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد الثالث عشر ، محرم ـ صفر ـ ربيع أول ١٣٩٨ هـ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ص ٤٥ .

« وما دام المال مال الله ، وهو عارية فى يد البشر فليس للبشر أن يتخلفوا عن تنفيذ أمر الله عز وجل أن يؤتوا فئات من البشر شيئاً من هذا المال، فعليهم المبادرة بذلك » (١) ، قال تعالى : ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [النور : ٣٣] .

« كما عليهم أن يحافظوا على هذا المال من العبث والتبديد والضياع ويحسنوا إنفاقه ، والوفاء بما للناس فيه من حقوق ، وتوجيهه للغرض السامى الذى لأجله خلق وهو صالح المجتمع وسعادته » .

عليهم عدم الافتتان به ، وعدم اتخاذه أداة طغيان واستعباد ، ومصدر إغراء وتكبر وخيلاء وعبث بالحقوق ووسيلة انحراف فى السلوك ، وإفساد فى الأرض وإهدار للكرامة (٢) .

روح التسخير :

« إن الإسلام قد هيأ المجال الملائم أمام الإنسان لاستخدام كل طاقته الإبداعية ، ووفر له كل الشروط الضرورية التى تساعده على القيام بالمهمة الكبرى المتمثلة فى خلافته لله فى الأرض ، والنهوض بمسئوليته فى عمارة الأرض ، وجعل الله الكون كله بسمائه وأرضه وما بينهما مجالاً لنشاط الإنسان ، فكل ما عدا الإنسان فى هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان ومجال لنشاط الإنسان » (٣)، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [الجاثية] ، أى سخر لكم الكواكب والجبال والبحار والأنهار وجميع ما تنتفعون به وكل ذلك من فضله وإحسانه (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ [البقرة] ، فالحق سبحانه وتعالى قد خلق للإنسان جميع المنافع من حيوانات ونبات ومعادن وجبال وكلها مسخرة له .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك] ، أى هو الذى سخر لكم الأرض بجعلها منقادة صالحة لأوجه النشاط الإنسانى « وجعلها ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع

---

(١) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .
(٢) شوقى عبده الساهى : المال وطرق استثماره فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٣) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١٤٨ .

والثمار » (١) ، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) ﴾ [نوح] ،أى : « بسطها ومهدها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات ، وقد خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أنَّى شئتم » (٢) ، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) ﴾[الجاثية]، وفى هذه الآية « ذكر من الله للإنسان فيما سخر لهم من البحر لتجرى السفن فيه ابتغاء المتاجر والمكاسب وحصول المكاسب وحصول المنافع المجلوبة من الأقاليم النائية »(٣)،وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ﴾ [إبراهيم] ، أى خلق الله سبحانه وتعالى « السموات سقفاً محفوظاً والأرض فرشاً وأخرج منها ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من المنافع ، وسخر الشمس والقمر يسيران لا يفتران » (٤) ، وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) ﴾ [يس] ، وفى هذه الآيات ، « يذكر الله تعالى ما أنعم به على الإنسان من هذه الأنعام التى سخرها لهم فهم لها قاهرون وهى ذليلة مسخرة لهم لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه ، وكذا لو كان القطار مائة بعير ومن البعير ما يركبون فى الأسفار ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار ، وإذا شاءوا نحروها ولهم منافع أخرى مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها » (٥) .

إن الآيات السابقة تدل دلالة واضحة أن كل ما فى الكون مسخر للإنسان « وأن الإنسان فى هذا الكون على أعلى ذروة فيه ، وهو الكائن الوحيد الذى يستطيع أن يسخر ما حوله من الكائنات لمنفعته ومتاعه ، فهو بذلك فى مركز الولى على هذه الأرض وما احتوته ، المشرف على ما فيها من طاقات وخيرات ، لا منازع له ممن عداه » (٦) .

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٩٧ .
(٢) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٤٢٦ .
(٣) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١٤٨ .
(٤) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٣٩ .
(٥) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٥٨٠ .
(٦) محمود أبو السعود : الفكر الإسلامى المعاصر ، مضمونه ومستقبله ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ص ٣٥ .

وقد حدد الحق سبحانه وتعالى مهمة الإنسان فى هذا الكون بقوله : ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** (٦١) ﴾ [هود] .

وهذا يعنى « أن الله قد فوض إلى الإنسان عمارة الأرض ، والعمارة نقيض الخراب ، وتعنى تمهيد الأرض وتحويلها إلى حال يجعلها صالحة للانتفاع بها وبخيراتها ، والاستعمار فى الآية هو طلب العمارة ، فالإنسان مطلوب منه طبقاً للمشيئة الإلهية أن يجعل الأرض عامرة تصلح للانتفاع بها،وأن يبحث عن أفضل السبل لتيسير الحياة فيها ، كشف ما فى الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات من أجل خير البشرية جمعاء ، وقد أعطى الله الإنسان من الطاقات والاستعدادات والإمكانات ما يتناسب مع ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات ، فهناك تناسق بين القوانين الإلهية التى تحكم الأرض وتحكم الكون كله ، والقوانين التى تحكم الإنسان ، وما حباه الله به من قوى وطاقات ، حتى لا يقع التصادم بين هذه القوانين وتلك حتى لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون .

وعمارة الأرض تتحقق بالعلم الذى هو فريضة إسلامية ، وبالتقنية التى هى تطبيق للعلم ، ومن أجل ذلك تدخل تحت مفهوم الفريضة ، ولكن العمارة على هذا النحو هى أحد جوانب الحضارة ، أما الجانب الآخر الذى به تكتمل الحضارة ـ أو عمارة الأرض بالتعبير القرآنى ـ فإنه يشمل كل القيم الدينية والعقلية والأخلاقية والجمالية .

ومن هنا فإن الحضارة فى المفهوم الإسلامى تعنى تحقيق المشيئة الإلهية فى عمارة الأرض مادياً ومعنوياً ، وبذلك يحقق الإنسان ذاته بوصفه خليفة لله فى الأرض» (١) .

٣ ـ الإتقان :

لم يقتصر الإسلام على حث المسلم وحفزه إلى العمل ، إنما تجاوز ذلك إلى درجات الرقى والسمو ، إلى المطالبة بإتقان العمل وإخلاص النية فيه ؛ لأن الإسلام « يحرص على إتقان العمل وتجويده وتحسينه والإخلاص فيه وهو لا يرضى أن يؤدى مجرد أداء وإنما يدعو إلى أن يؤدى على خير وجه يحقق الغاية منه » (٢) .

ولهذا السبب جاء لفظ العمل مقروناً فى كتاب الله بكلمة العمل الصالح ، يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** (٣٠) ﴾ [الكهف] ، : « أى لانضيع أجر من أحسن وأتقن منهم عملاً » (٣) ، « ولقد خلق الله الحياة الدنيا لينظر أينا أحسن عملاً » (٤) ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ**

(١) محمود حمدى زقزوق : الحضارة فريضة إسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، مرجع سابق ص ٣٦، ٣٧ .
(٢) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتيكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣٧ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٣٩٥ .
(٤) المرجع السابق ، ج ١٨ ، ص ٢٠٧ .

﴿ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] ، فعلة الحياة هى العمل المتقن .

وقد أحكم الله كل شىء وأتقنه وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل] ، ومعناه : « أحسن كل شىء وأحكمه » (١) ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة] .

ويقول رسول الله ﷺ: « إن الله كتب الإحسان على كل شىء » (٢)، ويستدل من ذلك أن الإتقان مطلوب فى كل شىء يباشره الإنسان ، ولا يقتصر على مواطن معينة .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف] ، أى « جعلنا ما على الأرض من النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ليختبركم أيكم أحسن عملاً » (٣) ، ويقول تعالى مؤكداً هذا المعنى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ﴾[هود:٧] .

إن الناظر فى الآيات السابقة يجد أن الأمر لا يتوقف على مجرد الاشتغال بمهنة بل يؤمر المسلم بالاتقان فيها ؛ ولهذا نجد أن إحكام العمل وإتقانه وإحسانه من أهم الأمور التى حفل بها القرآن الكريم ، فالآيات التى وردت فى هذا السبيل تقيم وزناً لإتقان العمل وإحسانه .

ولذلك فإن « رجل الحرفة أو المهنة مطالب بالخدمة فى الصنعة وإتقانها واعتبار ذلك عبادة من العبادات التى تقرب إلى الله بما تحقق للناس من نفع ، وبما فى إتقان العمل من تشبه بالله الصانع » (٤) .

وإذا كان الإسلام يغرى بتجويد العمل وإتقانه ؛ فذلك لأن العمل الجيد موضع استحسان وترقب وراحة للنفس العاملة والنفس المستعملة لمنتجاته ، وقد جعل الإسلام لإتقان العمل قيمة كبرى ، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل]،وهذا « وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً من ذكر وأنثى من بنى آدم بأن يحييه الله حياة طيبة فى

---

(١) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١٣ ، ص ٢٤٤ .

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٦ ، ص ٧٢ .

(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص ٣٥٤ .

(٤) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه المهنى والحرفى فى التربية الإسلامية » ، بحوث فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣١ ، ١٣٢ .

الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله فى الدار الآخرة » (١) ، ونلاحظ فى الآية السابقة أن ذكر العمل جاء موصوفاً بالصلاح ولا يتأتى صلاحه إلا إذا أخذ حقه ممن يقوم به وابتغى به وجه الله وخلصت فيه النية وبذل فيه الوسع والطاقة .

إن حدود الإجادة والإتقان فى الإسلام تدور فى فلك الاستطاعة ، فقد كلف الله المسلم بإتقان عمله فى حدود استطاعته؛إذ يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)** ﴾ [الأعراف] .

والمعنى : « إن الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم الصالحات وهو عمل سهل إذ لا نكلف نفساً إلا طاقتها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٢) .

ويقدم القرآن الكريم مثلاً لإتقان العمل ويوضح أن جهد العمال واستخدام الأدوات وصهر الحديد وصب النحاس المذاب عليه أدى إلى إقامة سد صلب منيع ، بلغ من إتقانه أنه صد الأعداء عن البلاد ، وأن المغيرين على البلاد لم يستطيعوا أن يتسلقوا السد ويصعدوه لارتفاعه ؛ ولأنه أملس ، ولا أن يثقبوه لصلابته وبعد عرضه (٣) ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)** ﴾ [الكهف]

وهكذا يتبين لنا أن : « الإسلام لم يطلب العمل العادى من العامل ، بل يطلب العمل الذى يستحوذ على بذل أقصى طاقات الإنسان » (٤) ، وبذلك يجود العامل العمل ويتقنه « فالغش والإهمال فى العمل دليل فساد الذمة ونومة الضمير » (٥) ، « والإقبال على العمل وإجادته هما أقصى ما يرجى من الإنسان ؛ لأنه فى العمل وحده تتجلى إنسانيته ويظهر فيه إبداعه » (٦) .

والمسلم لا يهمه كم الإنتاج بقدر ما يهمه « أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يراقبه فى عمله ويراه فى مصنعه أو

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٥٨٥ .
(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٤٣٣ .
(٣) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١١ ، ص ٥٩ ـ ٦٢ .
(٤) فؤاد شندى : التنمية الاقتصادية فى الإسلام ، الأندلس للإعلام ، الجيزة ١٩٨٧م ، ص ٨٧ .
(٥) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .
(٦) عبد السميع المصرى : مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

مزرعته أو فى أى حال من أحواله » (١) .

ويدعو الإسلام الفرد المسلم إلى الإتقان والإجادة فى شخص داود عليه السلام ، إذ كان نبياً رائداً من رواد صناعة الدروع الحديدية فيقول تعالى : ﴿ **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** ﴾ [سبأ] ، والمعنى : « أن اعمل يا داود دروعاً كوامل تامات واسعات وقدر فى الخامات فيما يجمع بين الخفة والحصانة ، فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة ، إنما نأمرك بالتقدير فى نسج حلق الدروع » (٢) .

إنها حقا صورة رائعة ! صورة نبى أمرنا الله أن نتأسى بها ، فهل آن للمسلمين أن يتفقهوا فى دينهم ليصلحوا به الدنيا ؟ !

« وإخلاص النية والرغبة فى تحسين العمل يؤدى إلى الإجادة والإتقان » (٣) ؛ ولذلك فليس بغريب أن يكون « التأكيد على الإتقان إتقان الدرس ، إتقان المهارة فى كل عمل يتعهده الفرد ضرورة تربوية » (٤) .

ولقد كان من نتيجة هذه النظرة الإسلامية أن نجد الغزالى ينصح المعلم بألا ينتقل مع المتعلمين من جانب معرفى إلى جانب معرفى آخر حتى يتقن الجانب الأول ، منبها بألا يخوض المتعلم « فى فن حتى يستوفى الذى قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً أو بعضها طريق بعض،والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾** ﴾ [البقرة] ، أى لا يتجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً ، وليكن مقصده فى كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه » (٥) ، والبلوغ به إلى الإتقان .

كما أن « من وسائل إتقان العمل وتجويده وتحسينه أن يبذل الفرد المسلم أقصى جهده ليؤدى العمل فى دقة وإحكام وأن ينتفع بالعلم فى أسلوب أدائه ، وأن يستوعب الجديد فى مجاله لتنمية المهارة فيه وتطويره ،هذا إلى جانب المحافظة على أدوات الإنتاج وصيانتها والعناية بها أثناء الاستخدام وبعده ،علاوة على استخدامها بقدر طاقتها » (٦) .

إن العمل التعاونى فى المهنة من أساليب التعاون على البر ، وقد يصبح العمل التعاونى ضرورة ملحة لا سبيل للوصول إلى الإتقان بدونه ، وفى هذا المعنى يقول

(١) يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

(٢) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص ١٤٠ .

(٣) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ .

(٤) محمد فاضل الجمالى : نحو تربية مؤمنة وفلسفة تربوية متكاملة لتحقيق مجتمع إسلامى ناهض ، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٧ ، ص ٨٢ .

(٥) الإمام الغزالى : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٥٢ .

(٦) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » ثم شبك بين أصابعه (١) ، وفى هذا بيان وتشبيه على مدى اعتماد المؤمن على أخيه المؤمن وأن كلاً منهم فى حاجة للآخر مثلما يعتمد البناء فى الارتباط بين اللبنات ، ولا عجب أن نرى الدراسات الحديثة تهتم بالتعليم الجماعى داخل المدرسة ؛ لأنه يسهم بالتأكيد فى إتقان العمل بل ويقلل من البطء الدراسى » (٢) .

ومما يجدر الإشارة إليه « أن التعاون الجماعى فى العمل أصبح ضرورة لا محيص عنها ؛ لأن الجهد الفردى مهما كان بارعاً فهو محدود فى نتائجه ، ودقته إذا قيس بالجهد الجماعى التعاونى ، والتعاون فى العمل من الأسس التى تؤدى إلى نجاحه ، وقد اتسع مجال العمل حتى قل أن نجد عملاً ينفرد به شخص واحد ، فالمقعد الخشبى الذى يجلس عليه المتعلم اشترك فى صنعه كثيرون ، الفلاح الذى غرس الشجرة ورعاها ، والعامل الذى اجتثها وحولها إلى قطعاً خشبية ، والصانع الذى صنع المسامير ، ثم النجار الذى أعد المقعد فإذا لم يحسن كل من هؤلاء عمله ، وإذا لم يتعاون الجميع على إتقانه حدث بالمقعد عيب أو عيوب ، وهكذا كل شىء يتسخدمه المتعلم من أدوات أو أشياء » (٣) .

والرقابة على المنتج أمر ضرورى للوصول بالمنتج إلى حد الإتقان « ولقد عجزت المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية عن تقديم حلول نهائية لمشكلات العمل والعمال فى مجال الرقابة على أداء العمل ، حيث يقوم صاحب العمل بالرقابة أو التفتيش على عماله ، بينما تتولى الدولة الرقابة على العاملين لديها ، وقد ثبت أنه ليس من السهل إيجاد هذه الرقابة بالنسبة لكل عامل أو موظف فى موقعه ، بالنسبة لكل تصرف يأتيه فى مجال عمله، بل إن بعض هؤلاء الرقباء فى المجتمعات المعاصرة التى يتفشى فيها التسيب يحتاجون بدورهم إلى من يراقبهم ، وبذلك يدخل أرباب العمل أو الدولة فى حلقات لا تنتهى من الرقابة والتفتيش،فى حين أن الرقابة الإسلامية فى الأساس أمر ذاتى ينبعث من داخل الفرد »(٤)،وهى نتيجة ما يسمى بالضمير الدينى فى العامل المسلم.

يقول تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (٧) ﴾ [المجادلة] ، والمعنى :

---

(١) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص ١٤٣ (كتاب الأدب) .

(2) Baker Rebecca , Acase Study of The Work Values of Vocational Cooperative and non Cooperative Students Op .c.i.t. P. 2275.

(٣) محمد كمال طه الحسينى : الاتجاه البوليتكنيكى فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٤٤ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : نحو اقتصاد إسلامى ، مرجع سابق ص ٩٨ .

« أن الله سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، فهو مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ثم ينبئهم به يوم القيامة » (١) .

ورغم تركيز الإسلام على الرقابة الذاتية أو ما يسمى ضمير الفرد ، فلم يهمل الرقابة الخارجية ، ووجد فى صدر الإسلام ما يسمى بالمحتسب يوكل إليه رقابة (الخبازين والجزارين والخياطين والحدادين والتجار والصاغة . . . إلخ) .

وكان رسول الله ﷺ يستعمل سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة ، ثم تعاقب الأمر فى عهد الخلفاء الراشدين فى أن يتولوا أمر مراقبة الأسواق وأصبحت الحسبة فى التاريخ الإسلامى مؤسسة من مؤسسات الدولة لها نظامها والمختصون بها (٢) .

٤ ـ الأخلاقية :

أمر الإسلام بكل عمل طيب ، ودائرة العمل الطيب الحلال واسعة ، وينهى عن كل عمل خبيث ؛ لأن الإسلام يشجع الكسب الحلال وبذل الجهد ، وينهى عن كل كسب ينتج عنه ضرراً أو يشوبه شبهة أو غش ، والعمل فى الإسلام أخلاقى بالدرجة الأولى « والمراد بالأخلاقية هنا هى ما يعبر عنه فى الأدب الإسلامى بـ (العمل الطيب) ويقابله (العمل الخبيث) وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية آيات وأحاديث تدل على وجوب التمييز بين الأعمال على هذا الأساس » (٣) .

يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** (٢٦٧) ﴾ [البقرة] .

وهو نداء عام للذين آمنوا يشمل جميع الأموال التى تصل إلى أيديهم ، تشمل ماكسبته أيديهم من حلال طيب وما أخرجه الله لهم من الأرض من زرع ومعادن وبترول (٤) .

إنه نداء إلى الإنفاق من الكسب الطيب دون غيره ، مما يدل على الارتباط بين الإيمان والكسب الطيب ، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن**

---

(١) الإمام ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٢٢ .

(٢) على السالوس : الاقتصاد الإسلامى ودور الفقه فى تأصيله ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، جماد الأول ١٤١١ هـ ، (مجلة الأزهر) ص ٦٣ .

(٣) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر التربوى الإسلامى » ، دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

إن الحق سبحانه وتعالى يوصينا ويفرق لنا فى مثال بين العمل الطيب والعمل الخبيث . فيقول تعالى : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء] ، أى أعطوا اليتامى أموالهم التى تحت أيديكم ولا تعطوهم الردىء فى مقابل الجيد ، كأن تأخذوا أرضهم الجيدة وتبدلوهم بأرضكم الرديئة ، أو ماشيتهم أو أسهمهم ، أو نقودهم وفى النقد الجيد ذى القيمة العالية والردىء ذى القيمة الهابطة ، أو أى نوع من أنواع المال فيه الجيد وفيه الردىء ، وكذلك لا تأكلوا أموالهم بضمها إلى أموالكم ، كلها أو بعضها ، وأن ذلك كان ذنباً كبيراً والله يحذركم من الذنب الكبير (١) .

تلك صورة من صور العمل الخبيث يبينها لنا الحق سبحانه وتعالى لنتجنبه وكل عمل مشابه له .

ويقول تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة]، أى لا يستوى الخبيث والطيب ولو كانت كثرة الخبيث تغرى وتعجب ، ففى الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف ، وما فى الخبيث من لذة إلا وفى الطيب مثلها على اعتدال وأمن من العاقبة فى الدنيا والآخرة (٢) ، فالخبيث لذته ذائلة ، أما الطيب فلذته باقية فى الدنيا والآخرة .

« الأعمال إذاً قد تكون طيبة وقد تكون خبيثة ، ولكن الإسلام يأمر بالطيب وينهى عن الخبيث » (٣) .

ويعدد الحق سبحانه وتعالى بعض الخبائث فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة]

ولقد كانت الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من معالم الحياة الجاهلية ومن التقاليد المتغلغلة فى المجتمع الجاهلى ، وكانت كلها حزمة واحدة ذات ارتباط عميق فى مزاولتها وفى كونها من سمات ذلك المجتمع وتقاليده (٤) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ٥٧٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الثانى ، ص ٩٨٣ .

(٣) سعيد إسماعيل على : « العمل فى الفكر الإسلامى » ، دراسات فى التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الثانى ، ص ٩٧٣ .

« وهى دنسة لا ينطبق عليها وصف الطيبات التى أحلها الله » [١] ، ولذا جاءت العلة بالتحريم ؛ لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أراد بداية أن يطهر المجتمع من تلك الخبائث التى كانت منتشرة فيه ، حتى يكون مؤهلاً لقبول منهج طيب يسير عليه « عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت آخر البقرة قرأهن النبى ﷺ عليهم فى المسجد ثم حرم التجارة فى الخمر » [٢] ، وكذلك حرم رسول الله ﷺ بيع الخمر والخنزير والأصنام فقال : «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » فقيل : يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال : « لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « قاتل الله اليهود ، فإن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها ، فجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه » [٣] .

وهكذا يتبين أن الإسلام فرض على المسلم أن يعمل بحرف ومهن طيبة لا تؤدى إلى ضرر للآخرين أو غشهم ولكن تؤدى إلى رفاهية ورخاء ، ولقد اهتم الإسلام بوسائل اكتساب المال وأمعن فى التفريق بين الحلال والحرام إمعاناً لم يسبق إليه قانون من قوانين العالم ، فهو يحرم كل عمل يضر به المرء غيره أو يجلب بسببه ضرراً خلقياً أو مادياً على المجتمع بأسره ، فقد حرمت الشريعة الإسلامية تحريماً باتاً الخمر وتعاطى المسكرات وبيعها وشراءها ، وكذلك البغاء ومهنة الرقص والغناء والميسر والقمار وأوراق اليانصيب والربا والغش وبيع الغرر ، والطرق التجارية التى لا تضمن النفع اليقينى إلا لأحد الفريقين دون الثانى ، وكذلك الاحتكار وغير ذلك من الصفات التى تعود على المجتمع بنوع من أنواع الضرر [٤] .

وقد فهم السلف الصالح هذه المبادئ السامية التى تفرق بين العمل المشروع وغيره، فنجد أن عمر بن الخطاب أمر بتحريق حانوت كان يباع فيه الخمر ، وما يشبه ذلك ما فعله عمر بن الخطاب حين رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه [٥] ، وإذا كان عمر بن الخطاب قد أتلف اللبن الذى شيب للبيع فلا يجوز التصدق به بطريقة أولى ، فإنه يحصل به عقوبة الغاش وزجره عن العود ، ويكون انتفاع للفقراء عنده فى المدينة ؛ ولهذا جوز طائفة من العلماء التصدق به وكرهوا إتلافه [٦] ، لقد وجب على التربية المعاصرة أن تنمى تقوى الله فى القلوب ، فخشية المؤمن جزاء الله هى حجر الزاوية فى

---

(١) المرجع السابق والمجلد ، ص ٩٧٥ .

(٢) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٧٧ .

(٣) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤١ .

(٤) أبو الأعلى المودودى : نظام الحياة فى الإسلام ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٧ ، ص ٧٠ .

(٥) ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

الاشتغال بالحرف والمهن الطيبة ، وقد وضع الإسلام فائدة عامة فى الكسب مؤداها : أن ثمة ضوابط لاكتساب المال ومن ثم لم يبح لأبنائه جمع المال كيفما شاءوا أو بأى طريقة أرادوا ، بل فرق لهم بين الطرق المشروعة لاكتساب المال والطرق غير المشروعة فى اكتسابه . فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** (٢٩) ﴾ [النساء] ، وأكل الأموال بالباطل يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم لم يأذن بها الله ونهى عنها، ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات ، وجميع أنواع البيوع المحرمة، والربا فى مقدمتها ، واستثنى العمليات التجارية التى تتم عن تراض بين البائع والشارى [١] .

أى أن هذه الآية قد شرطت مشروعية التجارة فى أمرين :

الأول : أن يكون عن تراض بين الفريقين .

والثانى : ألا يكون منفعة فريق قائمة على خسارة الفريق الآخر .

لأن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يقول: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ فهذا تعقيب يجىء بعد النهى عن أكل الأموال بالباطل ، فيوحى بالآثار المدمرة التى ينشئها أكل الأموال بالباطل فى حياة الجماعة ، إنها عملية قتل يريد الله أن يرحم الذين آمنوا منها ، حين ينهاهم عنها ، وإنها لكذلك ، فما تروج وسائل أكل الأموال بالباطل فى جماعة بالربا والغش والقمار والاحتكار والتدليس والاختلاس والاحتيال والرشوة والسرقة وبيع ماليس يباع كالعرض ، والذمة ، والضمير ، والدين ، إلا وقد كتب عليها أن تقتل نفسها [٢] .

وسوف نتناول بعض النماذج للحرف والمهن التى نهى عنها الإسلام لما يترتب عليها من أضرار متعددة على الفرد والمجتمع .

أ ـ الخمر والميسر :

نهى الإسلام عن تناول الخمور والاقتراب من الميسر فقال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** (٢١٩) ﴾ [البقرة] ، وبالنظر فى هذه الآية نجد « أن الله سبحانه وتعالى لم يدع شيئاً من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة ، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة ، ولكن أوجب

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .

عليهم الشرائع تدريجياً مرة بعد مرة ، فكذلك تحريم الخمر ، وهذه أول ما نزل في الخمر » (١) ،إلى أن نزل قوله تعالى : « ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة] وإثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور ، وزوال العقل وتعطيل الصلوات إلى غير ذلك ، أما منفعة الخمر فكانت في تجارته حيث كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها بربح » (٢) .

وفي هذا دليل على صناعة الخمر والتجارة فيها في عهد رسول الله ﷺ ، وإلا لما أنزلت آيات التحريم تنهى المسلمين عن تعاطيها والاتجار فيها ليطيب كسبهم « عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر » (٣) ، كما نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن الميسر ، « والميسر قمار العرب ، قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يقامر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بماله وأهله ، فنزلت الآية السابقة » (٤) .

ب ـ نحت الأصنام :

كانت حرفة نحت الأصنام موجودة في عهد رسول الله ﷺ وفي العهود السابقة له ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم] ، والمعنى : « أن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه آزر : يا أبت، لأي شيء تعبد الأصنام ؟ » (٥) ، إنه منطق غريب حقاً أن يعبد الإنسان ما يصنع بيده؛ ولذلك قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء] ، ولما كانت هذه الأصنام عاجزة عن أن تحمي نفسها فقد هوى عليها إبراهيم عليه السلام فكسرها وجعلها فتاتاً ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء] (٦) ، مما سبق نستدل على وجود حرفة نحت التماثيل في عهود سابقة على الإسلام ، كما وجدت صناعة الأصنام أيضاً في العهد الإسلامي الأول ، ولكن الإسلام نهى عنها ، فقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ « حين دخل مكة فاتحاً أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت » (٧) ، ويقصد بالآلهة الأصنام التي كان المشركون يؤلهونها .

(١) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢ .
(٢) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٥ ـ ٥٧ .
(٣) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٩٠ .
(٤) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٠ .
(٦) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٢٩٧ .
(٧) الإمام البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ١٨٨ .

جـ ـ السحر :

وجد السحر منذ عهد فرعون لعنه الله إذ رمى موسى وأخاه عليهما السلام بأنهما ساحران : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) ﴾ [طه] . وتوعد فرعون أن يهزم موسى فسوف يأتيه بكل سحار عليم ،وبالفعل قد جمع السحرة : ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) ﴾ [طه] ، وجاء الوقت المحدد فاجتمع السحرة وموسى ، وماكان من الله إلا أن كتب النصر لموسى عليه السلام ؛ إذ يقول تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) ﴾ [طه] .

هذه نماذج من الأعمال والمهن التى حرم الإسلام الاشتغال بها ، لما يمكن أن تسببه من أذى للفرد والمجتمع ، بينما ترك الباب مفتوحاً لسواها من المهن والحرف التى تساعد على عمارة الكون وحسن قيام الإنسان بدوره فى تلك الحياة .

٥ ـ جزاء المهنة :

لما كان لكل عامل قدرات ومواهب معينة فإن حقه فى الأجر يجب أن يتناسب مع قدراته ومواهبه ، فإنقاص الأجر عما يستحقه العامل عن عمله ظلم وبخس للعامل ، وقد حذر الحق سبحانه وتعالى من ذلك فقال على لسان شعيب : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) ﴾ [الشعراء] ، « وقد بدأ شعيب قومه بما بدأ به كل رسول قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر ، فقد كان قومه يأخذون بالقسر والغصب زائداً عن حقهم ، ويعطون أقل من حق الناس » (١) .

لذا نهى الله أن ينقصوهم مما يستحقونه شيئاً ؛ ولهذا كانت دعوة من الله إلى البشر فى صورة قوم شعيب أن يعطوا الأجير حقه وألا ينقصوا منه شيئاً ، فالأجر حق للعامل : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾ [الاحقاف]، أى : « لا يظلم العاملون مثقال ذرة فما دونها » (٢) ، فإعطاء الأجيرحقه تشبه بالخالق

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٦١٥ .
(٢) الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

عز وجل ، وإن عدم الوفاء بأجر العامل لظلم له ، وقد حذر رسول الله ﷺ من الظلم فقال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (١) ، فمتى أدى العامل عمله فقد أصبح أجره أمانة لدى صاحب العمل يجب الوفاء به ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)** ﴾ [النساء] .

« ومن هذه الأمانات التعامل مع الناس ، ورد أماناتهم إليهم ، أمانة المعاملات والودائع المالية » (٢)، فإعطاء الأجير حقه من الأمانة التى أوجبها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على المؤمنين به ، وأنها لمن الإيمان .

وشدد رسول الله ﷺ على المقصرين فى أداء هذه الأمانة فقال ﷺ : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره » (٣) .

والجزاء للمهنة ينقسم إلى جزاء دنيوى (مادى) وجزاء أخروى ، وقد وعد الله بالجزاء الأخروى على لسان نبيه : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه » (٤) .

ويستدل من هذا الحديث أن الجزاء جزاء فى الدنيا ويتمثل فيما يجب أن يحصل عليه الفرد مقابل عمله وجزاء من قبل الله سبحانه وتعالى .

إن العمل لابد أن يقابله أجر قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾[التوبة : ٦٠] ، ويعنى أنه « لابد أن يأخذ العامل على الصدقة كالساعى والكاتب والقسام وغيرهم أجرة على عملهم » (٥) .

إن الإسلام يحث المسلم على ممارسة العمل الاقتصادى ، ويضع بجوار الحافز الاقتصادى حافزاً آخر هو الحافز الدينى ، الذى يغرس فى نفس المسلم بأنه يتقرب إلى الله ويتعبد له « فالإسلام يحفز على العمل بما أعده للعامل من الأجر الأخروى إلى

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١١ .
(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الثانى ، ص ٦٨٩ .
(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٠٨ (كتاب البيوع) .
(٤) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .
(٥) الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج ٨ ، ص ١٧٨ .

جانب الأجر الدنيوى ،وبالعامل الروحى الذى يتمثل فى الظفر بحب الله ورضاه »[1].

ومن أمثلة الجزاء الدنيوى والأخروى ما يذكره الله فى القرآن الكريم : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣** ﴾ [الطلاق] ، أى : « مخرجاً من الضيق فى الدنيا والآخرة ،ورزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر ،وهو تقرير عام وحقيقة دائمة ، نجدها ويجدها كل عاقل بصيراً بأمور الحياة » [2] .

وقد يترتب على العمل الخير فى الآخرة مثل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧** ﴾ [الكهف] ، وقوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠** ﴾ [غافر] ، أى : « أن العمال إذا ما وصلوا إلى الجنة بعد الحساب على أعمالهم رزقهم الله فيها بغير حساب » [3] ، وذلك جزاء أعمالهم الدنيوية ومن ثم فإن اقتصار حوافز العمل على النواحى الدنيوية فقط وعلى النتيجة المباشرة يبتر هذه الحوافز ويجعلها ترتكز على جانب واحد دون الآخر . إن العمل مطلوب فى الدنيا والآخرة ولا جزاء فيها للفرد إلا بناء على عمله : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١** ﴾ [النجم] ، « فما يحسب للإنسان إلا كسبه وعمله لا يزاد عليه شىء من عمل غيره ، ولا ينقص منه شىء لينالله غيره ، بل سينال كل امرئ جزاء سعيه وافياً كاملاً لا نقص فيه ولا ظلم » [4] .

إن الجزاء للمهنة قاعدة إسلامية أصيلة ركز عليها الإسلام فيقول تعالى : ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧** ﴾ [الكهف] ؛ لذلك قال للعبد الصالح الذى قام ببناء الجدار : إنك مادمت قمت بعمل فإنك مستحق بذلك أجرا ، ولكن الرجل الصالح شغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل ! [5] .

وكان هذا خروجاً على المتعارف ، كما دعا شعيب موسى أن يأخذ أجر ما سقى لبنتيه فقال تعالى : ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ**

---

(١) جمال الدين عياد : نظام العمل فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٦٠١ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٣٠٨٣ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٤١٥ .

(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٢٨١ .

أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) ﴾ [القصص]

« ويجيء مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة يطمئنون على الأجر والمكافأة إذا كانوا هم الغالبين ، ويتلقون الوعد بالأجر الجزيل والقربى من عرشه » (١) ، فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) ﴾[الشعراء]، ففى هذه الآيات يعلن الإسلام من غير لبس أو غموض أن كل عمل لابد وأن يتبعه أجر وأن العمل لا يكون إلا بأجر ، وإلا أصبح خروجاً على ما شرعه الله ، فالإسلام يحرم السُّخرة التى عرفتها ومارستها شعوب كثيرة ، على مر التاريخ ، ومن ذلك ماكان سائداً فى أوروبا خلال العصور الوسطى التى سادها نظام الإقطاع (٢) ، وإذا كانت المهن والحرف هى السبيل الطبيعى لكسب المعاش ولبقاء الإنسان على قيد الحياة ، ولتحقيق ذلك لابد من الأجر على الحرفة والمهنة ، « ولابد أن يكون مستوى الأجر عند الحد الذى يكفل البقاء على الأقل » (٣) ، أى أنه لا يجوز أن يهبط مستوى الأجر عن الحد الذى يكفل إشباع الحاجات الأساسية وحصوله على مسكن مناسب ؛ لأنه « إذا كان العامل يعيش فى مسكن لا تتوافر فيه الشروط الصحية فإن قدرته على احتمال التعب تهبط فى سن مبكرة ، كما تهبط فى أثناء ساعات العمل بعد فترة وجيزة من بداية يوم العمل ، وإذا كان نصيبه من الغذاء الحيوى أقل من المستوى الضرورى للإبقاء على حيوية الآدمى فإن النتائج هى ماتقدم بيانه » (٤) .

إن « العمال يكونون الطبقة العاملة فى المجتمع ، وتقضى العدالة بأن هؤلاء الذين يقومون بتغذية المجتمع وإعداد مسكنه من حقهم أن يأخذوا حقهم من الإنتاج العام ، ولا أقل من أن يسهل أمامهم وسائل التغذية والإسكان » (٥) ؛ لأن العامل الذى لا يكفى أجره ضروريات الحياة يجد نفسه فى حرج بالغ ؛ لأنه إما أن يرتشى أو يلجأ إلى العمل الإضافى مما ينتج عنه تقصير فى أداء عمله الأساسى ، أو يفكر فى هجرة البلاد فيخسر المجتمع طاقته الإنتاجية كلها . فلابد أن يكون الجزاء للمهنة كافياً مغطياً الإنفاق على الأسرة والنفس ، ومما يشير إلى هذا المعنى « ماحدث بين أبى عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، حينما قال أبو عبيدة لعمر : دنست أصحاب رسول الله ﷺ ـ يقصد أنه استخدم بعض الصحابة فى جباية الخراج ،وربما يغريهم المال فتمتد إليه أيديهم بغير حق ـ فقال عمر : يا أبا عبيدة ، إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة دينى فبمن

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الخامس ، ص ٢٥٩٥ .

(٢) عبد السميع المصرى : مقومات العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٣) عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى : العمل فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٥) إبراهيم الغطريفى : العمل والإنتاج ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ٥٠ .

أستعين ؟ فقال أبو عبيدة : أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة ، يقصد إذا استعملتهم على شيء فأجزل لهم فى العطاء والرزق حتى لا يحتاجوا » [1] ،فيتأثر بذلك عملهم وبيوتهم .

« وإذا كانت مسألة ربط الأجر بالحاجة ، أو حد الكفاية قد يؤدى إلى الإهمال فى العمل وموت الكفاءات ، فإن الأوفق ربط الجزاء بالمهنة وليس بالحاجة فعلى قدر مهنته وحرفته وعلى قدر موهبته يأخذ أجره ، ولكل حرفة جزاء معين حسب طبيعتها ، ثم يعال أصحاب الحاجات الذين لا تكفيهم أجورهم من بيت المال بقدر ما يكفيهم » [2] ؛ لأن الإسلام الذى قرر تكافؤ الفرص فى السعى المشروع لا يحتم المساواة فى ثمار هذا السعى وقد أظهر ابن جماعة فى آرائه التربوية وعياً بضرورة الربط بين العمل والجزاء ؛ لأن هذا من شأنه أن يشجع الطالب المصيب أن يثبت لديه مهارات العمل الجيد ، وأن يتعلم الطالب المخطئ أوجه الخطأ فيتلاشاها فيما بعد [3] ، كما يجب على المسلم أن يرد كل جزاء للمهنة مادام بدون وجه حق ، وقد روى عن أبى سعيد الساعدى قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً من الأزد على الصدقة فجاء بالمال فدفعه إلى النبى ﷺ فقال : هذا لكم وهذه هدية أهديت لى ، فقال له النبى ﷺ : « هلا قعدت فى بيت أبيك وأمك فتنتظر أيهدى إليك أم لا ؟ » [4] ، فأى هدية تهدى لا تأتى للإنسان إلا عن طريق وظيفته ، فالدولة أحق بها منه ، وقد فرض الإسلام على صاحب العمل إعطاء الأجير حقه إذا أجرى العقد بين الطرفين طبيعياً دون ضغط أو إكراه ، وقد تقع مساومات بين صاحب العمل والعامل عند العقد ، وذلك أن صاحب العمل يتمتع بمركز قوى ، أما العامل فيكون مركزه دون ذلك ، خاصة فى الأيام التى يكثر فيها البطالة فقد يضطر العامل أن يشتغل عند صاحب العمل بأجر زهيد لا يكافئ جهده ومهارته لينفق هذا الأجر على نفسه وعائلته ، فإن العامل فى هذه الحالة لم يعقد هذا العقد الذى فيه من الغبن ما فيه ، ولم يشتغل عند صاحب العمل إلا وهو مضطر إلى ذلك . فقرر الإسلام أن هذا العقد فى مثل هذه الحالة فاسد ، فيعطى الأجير أجرة المثل [5] ، وأجرة المثل يقدرها الخبراء الخالون من الأغراض .

« إن الجزاء لا يترتب إلا على العمل البشرى وحده ، ولا جدال فى أن هذا هو

---

(١) أبو يوسف بن إبراهيم : الخراج ، نشره قصى بن محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣) ابن جماعة (بدر الدين ابن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى الفضل سعد الله بن جماعة الكنانى) : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٤هـ ، ص ٥٤ .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ١١ .

(٥) إبراهيم النعمة : العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

المبدأ الأساسى للتملك والكسب فى الإسلام » [1] ، والقاعدة فى الإسلام أن يكون الأجر بحسب العمل دون ظلم أو بخس،ولقد وعد الله عباده بالجزاء العادل لكل عمل يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨** ﴾ [الزلزلة] ، « إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض أعمالهم ليواجهوا جزاءها مهما صغرت » [2] ، فالإسلام ليس فيه عمل دون جزاء يكافئ هذا العمل .

والخلاصة التى يمكن الخروج بها فى ضوء ماسبق أن التربية الإسلامية قد حققت الأهداف التى تصبو إليها التربية المعاصرة ، والتى تتمثل فى ضرورة ربط الأجر بالمهنة ربطاً كاملاً ، حتى يعمل العاملون فى جو من الراحة والأمان ؛ لأنهم يدركون أن عملهم لن يضيع هباء ، وأنه على قدر العمل واستحسانه يكون الجزاء ، بل إن التربية الإسلامية قد امتازت فى مناهجها بالعناية بالرقابة الإلهية والجزاء الأخروى الذى تتجاهله التربية المعاصرة مما دفع العاملون فى الإسلام إلى إتقان العمل والمثابرة عليه ، فكانت الحضارة الإسلامية والعمران الإسلامى ثمرة لتلك الأصول الإسلامية للحرف والمهن .

---

(١) سيد قطب : معركة الإسلام والرأسمالية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٩٥٥ .